فهرس

في رحاب معاني حديث المرآة

مرآتية المؤمن في الروايات الشريفة

الخاتمة

المؤمن مرآة المؤمن([1])

الحمد لله الذي جعل ما سواه مرآة لأسمائه وصفاته ، والصلاة والسلام على أشرف خلقه ومرآة كمالاته محمّد وآله الطاهرين مرايا الفضائل والمحامد والعلوم .

أمّا بعد :

فقد جاء في كتاب بحار الأنوار([2]) للعلاّمة المجلسي (قدس سره) ، تحت عنوان : إنّ حديث أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) صعب مستصعب ، وإنّ كلامهم نور يجلي القلوب ويزيل عنها الرين ، ويفتح أقفالها ، وإنّه ذو وجوه كثيرة ، ويحمل بطوناً عديدة ، كالقرآن الكريم ، وفضل التدبّر في أخبارهم ، وفي الباب 116 حديثاً فراجع .

وبسنده عن أبي عبد الله مولانا الإمام الناطق جعفر بن محمّد الصادق (عليهما السلام) أ نّه قال :

حديث تدريه خيرٌ من ألف حديث ترويه ، ولا يكون الرجل منكم فقيهاً حتى يعرف معاريض كلامنا ، وإنّ الكلمة من كلامنا لتنصرف على سبعين وجهاً ، لنا من جميعها المخرج .

فكلام الرسول الأكرم محمّد (صلى الله عليه وآله) وكلام أهل بيته الأبرار الأئمة الأخيار (عليهم السلام) ، كالقرآن الكريم ، بل من القرآن وإنّه يُحمل على وجوه كثيرة ـ وربما من باب المبالغة يُقال : سبعون وجهاً ـ ولكلّ بطن ووجه بطون أُخرى ، وينفتح من كل باب ألف باب ، لا يعلمها إلاّ الراسخون في العلم ، ولا يلّقاها إلاّ ذو حظٍّ عظيم ، وفوق كلّ ذي علم عليم .

ومن هذا المنطلق الكريم الذي يُعدّ كالبحر الموّاج الزاخر ، وكالسحاب المعطاة المليئة بالرحمة والشآبيب ، أُقدّم إلى القرّاء الكرام هذه الرواية المعروفة ، وبعض الوجوه والمعاني التي تبادرت إلى ذهني بعد تفكّر ساعة ، عسى أن يكون هذا مفتاحاً جديداً في تلقّي الآيات القرآنية الكريمة ، وأُفقاً مشعّاً في تفهّم الأخبار الشريفة ، ويكون هذا المتاع القليل والزاد الضئيل ، الخطوة الأُولى لمسيرة ألف ميل ، وما يدريك فإنّ فوق كلّ ذي علم عليم ، فتنفع هذه البضاعة المزجاة في الرشحات الفكرية والتأمّلات العقلية ، فأعتذر مقدمةً من هفوة القلم وزلّة القدم والعذر عند كرام الناس مقبول .

قال معلّم الإنسانية النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) : « المؤمن مرآة المؤمن »([3]) .

يمكن أن نستلهم من هذه المقولة التي تُعدّ من جوامع الكلم ـ بمعنى : قليلة الحروف والكلمات ، كثيرة المغزى والمعاني ـ وجوهاً عديدة وهي كالآتي :

في رحاب معاني حديث المرآة

1 ـ جلاء المرآة :

لقد ذكر علماء الأخلاق في تهذيب النفس وتربية الروح ثلاث مراحل : التخلية والتحلية والتجلية ، فلا بدّ أوّلا للمرآة من جلاء وصفاء[4] وطهارة من الدرن والأوساخ ، حتى يشاهد الإنسان نفسه من خلال انعكاس صورته فيها ، فعلى المؤمن أن يطهّر نفسه وباطنه وظاهره من الأحداث والأخباث بطهارة ظاهرية وباطنية ، ويهذّب قلبه ، ويجلّي روحه ، حتّى يكون مرآة أخيه المؤمن .

2 ـ رؤية العيوب والمحاسن :

من مميّزات المرآة الصافية أ نّها تبدي المعايب ، كما تحكي المحاسن ، وكذلك المؤمن لأخيه المؤمن فكما يذكّره بعيوبه للإصلاح ورفعها ، فكذلك يذكّره بمحاسنه ومكارمه ، لتقويتها في النفس وتجليتها وتثبيتها ، فإنّ المرآة كما تذكر الرائي وتظهر النقطة القذرة على الوجه لإزالتها ، فإنها تعكس العين الجميلة الشهلاء أيضاً . وجاء في الخبر : التفكّر مرآتك تُريك سيئاتك وحسناتك[5] .

3 ـ حكاية الواقع :

المرآة لا تكبّر العيب ولا تصغّره ، بل تحكيه كما هو من دون زيادة ونقصان ، فهي تحكي الواقع ، فكذلك المؤمن إنّما يذكر العيب لأخيه بنفس المقدار ، فلا يزيد حتّى يستوجب اليأس ويصعب عليه الأمر ، ولا ينقصه حتّى يستصغر الأمر ولا يبالي به ولا يهتمّ له ، بل بنفس الحجم والمقدار .

4 ـ المجابهة :

من خصائص المرآة أ نّها تذكر العيب لناظرها وجهاً بوجه ، فلا تحاكي العيوب من وراءه وخلفه ، فكذلك المؤمن إنّما يذكر عيب أخيه المؤمن أمامه فإنّ المقصود إصلاحه بالخصوص لا ازدراءه وتحطيم شخصيته والاستهانة به ، فلا يستغيبه ، ولا يأكل لحم أخيه ميّتاً ، ولا يحبّ أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا .

5 ـ الهدوء :

إنّما تذكر المرآة العيوب لأصحابها بالخصوص بكلّ هدوء وصمت من دون تهريج وفضح صاحب العيب أمام الآخرين ، فلا تريد الفضيحة لناظريها ، فكذلك المؤمن لأخيه المؤمن ، إنّما يذكّره بعيوبه ، ويبيّنها من أجل الإصلاح بكلّ اتّزان وهدوء ، ولا يذكر العيب للآخرين ليحطّم شخصيّته الاجتماعية ، ويذهب بماء وجهه بين الناس .

6 ـ ترك الحقد :

من محاسن المرآة أ نّها لا تأخذ العيب بقلبها ، فلا ينطبع في صدرها شيء ، بل بمجرّد ذهاب الناظر إليها ، يذهب معه ما عكسته من المعايب ، وكذلك المؤمن فلا يحقد على أخيه المؤمن ولا يحمل في صدره غيضه وعداوته ، ولا ينطبع في قلبه ودماغه عيب أخيه حيث لا ينساه أبداً ، بل بمجرّد التذكّر الأخوي بكلّ هدوء وصفاء ومحبّة ومن ثمّ الافتراق ينتهي كلّ شيء ، وكأ نّه لم يكن شيئاً مذكوراً ، فالمؤمن في سلوكه يجسّد لأخيه المؤمن الحبّ والإخلاص والمصافاة والإخاء والصفاء القلبي .

7 ـ النصح المتواصل :

المرآة لا تملّ ولا تتضجّر ولا تبدي التعب في بيان العيوب والمحاسن ، بل في كلّ مرّة تذكّر الشخص بعيبه حتّى يُزيله ويصلح أمره ، وكذلك المؤمن فإنّه دائماً يذكّر أخاه المؤمن وينصحه ، فإنّ الذكرى تنفع المؤمنين وتسوق المجتمع الإنساني إلى ساحل السلامة والسعادة ، فهدف المؤمن مع إخوته في الإيمان هو إصلاح الشخصية الإسلاميّة ، ومن ثمّ إصلاح المجتمع الإسلامي ، والأخذ بيد المؤمنين الذين تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر لإيصالهم إلى وادي السعادة وقمّة الكمال المنشود .

8 ـ العموميّة :

أليس المرآة في كلّ حال وفي كلّ زمان ومكان تقول كلمتها من أجل الصلاح والإصلاح ، فكذلك المؤمن لأخيه المؤمن ، فإنّه مرآته في كلّ الأحوال وفي كلّ مكان وزمان ، فلا تأخذه في الله في مقام النصيحة لومة لائم ، فهو يقول كلمته كلمة الحقّ والعدل والصدق .

9 ـ الجمال والأفضليّة :

مَنْ يَبغي شراء المرآة فإنّه يبحث عن أجمل مرآة وأفضلها ، وتناسبه وتتلاءم مع ما عنده ، فكذلك المؤمن يبحث عن أفضل أخ مؤمن يناسبه ويتلائم مع روحيّاته ، ويندمج مع نفسيّاته ، فيصادقه ويصافيه ويستأنس به في الضرّاء والسّراء .

10 ـ المساواة بين الناس :

لو نظر شخصان في مرآة ، وكان أحدهما يضحك والآخر يبكي ، فإنّ المرآة تعكس حالهما في آن واحد ، كلّ واحد على ما عليه من الحال ، فكذلك المؤمن مع إخوته المؤمنين ، فإنّه يحكي ويعكس حالهم وحقيقتهم في آن واحد ، فلا يشتبه عليه الأمر فإنّه قليلٌ زَلَلُهُ كما ورد في الخبر ، وإنّه يساوي بين إخوانه ، كلٌّ بحسب حاله .

11 ـ سرعة الرضا :

لو نظرت إلى المرآة في حالة الغضب وسرعان ما ضحكت وانقلب حالك فإنّ المرآة تضحك معك فهي سريعة الرضا ، وكذلك المؤمن مرآة أخيه المؤمن فهو بطيء الغضب وسريع الرضا .

12 ـ العدالة :

إنّ المرآة عادلة تعدل بين الناس في مسؤوليتها ، فتعطي كلّ واحد من ناظريها حقّه وما يستحقّه من دون إجحاف وتبذير ، ومن دون تعسّف وتنكير ، فكذلك المؤمن مع المؤمنين فهو عادل في سلوكه ، يضع الأشياء في مواضعها من دون إفراط ولا تفريط .

13 ـ المثابرة :

لو انكسرت المرآة وتناثرت وتحطّمت ، فإنّها تقول كلمتها ، وكلّ قطعة منها تحكي الواقع وتذكّر الناظر ، وكذلك المؤمن فإنّه لو تحطّم في المجتمع وحورب وجعلوه إرباً إرباً ، فإنّه لا يزال يقول كلمته الحقّ ليزيل العيوب عن الفرد والمجتمع فإنّه يأمر بالمعروف

وينهى عن المنكر لا بقلبه ولسانه ، بل بكلّ جوانحه وجوارحه ، فإنّه يثابر بكلّ ما يملك من أجل إعلاء كلمة الحقّ ، فيكون تجسيداً للمعروف وتعكس الحال ، كما هو الحال في قطعات المرآة .

14 - الفرد والجماعة :

المرآة كما هي مرآة للفرد فكذلك مرآة للجماعة ، وكذلك المؤمن فهو مرآة أخيه المؤمن كما هو مرآة مجتمعه الإيماني ، فإنّه يذكر العيوب والمحاسن على الصعيدين : الفردي والاجتماعي ، كلّ على حسب حاله وشأنه .

15 - المحافظة :

من الخطأ كسر المرآة التي تحكي وتعكس العيب للإصلاح ، وكذلك المؤمن المذكّر فإنّه يشكر على نقده البنّاء فإنّ من إيمانه الراسخ والخالص يريد الإصلاح في الأُمّة ، فمن الجهل تخطئته وكسره في المجتمع ومحاربته ونصب عداوته ، بل لا بدّ من الحفاظ عليه ورعايته .

16 - الصراحة :

من امتياز المرآة أ نّها دائماً تعتمد على كلامها وتصرّح بذلك لناظريها ، فلا تتراجع إلاّ عند إزالة العيب ، فكذلك المؤمن عندما يشاهد العيب فإنّه يذكّر صاحبه بذلك ، ولا يتراجع قيد أنملة ، ولا يساوم على ذلك قيد شعرة ، فهو كالجبل الراسخ لا تحرّكه العواصف ، فإنّه صبور وقور عند الهزاهز ثابت في القوّة والعقيدة كالمرآة .

17 - قول الحقّ :

إنّ المرآة قوّالة الحقيقة مع الجميع ، فلا صداقة ولا قرابة عند مشاهدتها العيب ، فإنّها تحكي ذلك على السواء ، فكذلك المؤمن يقول الحقيقة من دون مراعاة الصداقة أو القرابة أو الشركة أو غير ذلك ، فإنّ الحقيقة عنده فوق كلّ ذلك .

18 - التعليم :

المرآة مُعلّمة ، تعلّمنا كيف نرفع عيوب الآخرين ، وتعلّمنا أ نّه كما أُعلّم الناس بمحاسنهم وعيوبهم كذلك أنت ، والمؤمن عالم ربّاني أو متعلّم على سبيل النجاة فهو بين معلّم أو متعلّم ، بين علم مفيد أو مستفيد .

19 - المواساة :

إنّ المرآة لتفرح بفرحك وتضحك بضحكك ، كما إنّها تحزن وتبكي ببكائك ، وكذلك المؤمن يفرح بفرح أخيه المؤمن ويحزن بحزنه ، فيشاطره ويواسيه في همومه وأحزانه ، كما يقاسمه في أفراحه وسروره .

20 - الألفة :

إنّ المرآة لتألف الجميع فهي آلفة ومألوفة ، فإنّها سرعان ما تأخذ أطباع وألوان مشاهديها ، وكذلك المؤمن فإنّه إلفُ مألوف

هشّ بشّ ، بشره في وجهه وحزنه في قلبه ، يحسن المجالسة حتّى مع اليهودي كما ورد في الروايات الشريفة .

21 ـ الاعتزاز بالمرآة :

من العقل أن نعتزّ ونحافظ على المرآة وإن ذكرت معايبنا ومحاسننا ، فكذلك المؤمن نعتزّ بصحبته ومعاشرته ليكون صديقنا الغالي في الحياة .

22 ـ الصداقة الدائمة :

لا بدّ من مصاحبة ومرافقة المرآة في حياتها في الحضر والسفر لنشاهد فيها جمالنا ونزيل بها عيوبنا ونحسّن مظاهرنا ، وكذلك المؤمن فلا بدّ من مصادقته ومعاشرته ليكون في حياتنا الفردية والاجتماعية مرآة عيوبنا ومحاسننا ، لنزيل نقاط الضعف فينا ، كما نقوّي نقاط القوّة ، فنسعد بصديق مؤمن صالح ، وأخ عزيز في الله ، ومن سعادة الإنسان الرفيق والصديق الموافق كما ورد في الأخبار([6]) .

23 ـ ترك الغيبة :

إذا رأيت نفسك في المرآة فإنّها تحدّثك عن نفسك لا غير ، فلا تذكر الآخرين أمامك بسوء ، وكذلك المؤمن إنّما يذكّرك بنفسك ، ولا يقرض الآخرين بمقاريض السوء والغيبة .

24 ـ النظافة :

الإنسان بطبيعته يحبّ النظافة فإنّه يفارق المرآة الوسخة والقذرة التي لا يمكن إصلاحها وجلائها ، فكن أ يّها المؤمن جميلا نظيفاً ، فإنّ الله جميل ويحبّ الجمال ، حتّى يرتاح إليك أخوك المؤمن ، ويفضّل معاشرتك على غيرك ، فإنّ المؤمن مرآة المؤمن .

25 ـ ترك السوء :

إنّ المرآة السيّئة القذرة يبغضها الجميع ، وعاقبتها الزبالة والكناسة وهجرانها ، فكذلك المؤمن فإنّه لو ساء خُلقه وأساء في العمل ، فإنّ المجتمع يبغضه ويقاطعه ويهجره رويداً رويداً ولا يودّ معاشرته ، إلاّ إذا تاب وأصلح أمره وعمل صالحاً ، وتحلّى بالمكارم والفضائل .

26 ـ حسن الخُلق :

أمّا المرآة الحسنة والنظيفة فهي محبّبة عند الجميع ، ومكانها محترم ومرموق ، وكذلك المؤمن حسن الخلق يحبّه الجميع ، فله مكانته الاجتماعية المرموقة ، فهو معزّز مكرّم بكرامة الله وعزّته ، فإنّ العزّة لله ولرسوله وللمؤمنين ولكنّ المنافقين لا يعلمون شيئاً . ومن أراد عزّة بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان ، فليخرج من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعته .

27 - رعاية الحقوق :

كلّ واحد يحافظ على مرآته كي لا تتوسّخ ويعلوها الغبار ، وكذلك المؤمن فلا بدّ له من مراعاة حقوق الأُخوّة ، والمحافظة عليها من غبار الأذى وانكسار الخاطر ، ليبقي عُرى الأُخوّة سالماً ، وحبل المودّة مستحكماً وقويّاً ، فإنّ المؤمن مرآة المؤمن .

28 - الصبر :

المرآة صبورة ، فلا تملّ من مجالسة الآخرين ، وتراعي حقوق المصاحبة وتتحمّل أيّ واحد كان ، وكذلك المؤمن فإنّه لا يتضجّر من الآخرين في ظاهر معاشرته ، ولا يظهر أمامهم الملل والكسل والانزعاج ، بل بكلّ أدب يحاول أن يصلح أمرهم ، ويهديهم إلى سواء السبيل ، وما فيه الخير والصلاح والصواب كالمرآة .

29 - ترك الصنميّة (التوحيد) :

إنّ المرآة لا تعبد ناظريها ولا تجعل منهم في قلبها صنماً ، فكذلك المؤمن لا يجعل من هواه ومن الآخرين صنماً يعبده دون الله سبحانه وتعالى ، فلا إله ولا معبود عنده سوى الله جلّ جلاله ، فلا تعصّب عنده ، ولا قوميّة ، ولا قبليّة ، ولا حزبية ، ولا ما شابه ذلك ، فإنّ كلّ ذلك يتنافى مع روح الإيمان ، ويستلزمه الشرك الخفي أو الجليّ كما هو واضح ، فلا صنميّة بين المؤمنين ، إنّما المؤمن مرآة أخيه المؤمن . فنظرته إليه على نحو آلية لا الاستقلالية .

30 - ترك الأنانيّة :

المرآة لا تدعو الناس إلى نفسها ، بل تذكّرهم بالله خالقهم ومصوّرهم فتدعو إلى الله بكلّ إخلاص ، ومن هذا المنطلق يستحبّ لمن ينظر نفسه في المرآة أن يدعو بهذا الدعاء كما جاء في المأثور : (الحمد لله خلقني فأحسن خلقتي ، وصوّرني فأحسن صورتي ، وزان منّي ما شان به غيري ، وأكرمني بالإسلام[7] ، اللّهم حَسِّن خُلقي كما أحسنت خِلقتي)[8] فالمرآة تذكّر الإنسان بربّه سبحانه ، وكذلك المؤمن يذكّره أخاه المؤمن بالله جلّ جلاله .

31 - التفاعل :

إنّ المرآة تتفاعل مع ناظريها ، فأيّ حركة تصدر منهم تحكي ذلك وتعكسه ، وكذلك المؤمن يتفاعل مع أخيه ومع مجتمعه ، فلا ينزوي عنهم ويتركهم ، بل معهم في حلّهم وترحالهم .

32 - التواضع :

من صفات المرآة أ نّها متواضعة في حقيقتها ، فإنّها تصوّر الآخرين وتجالس الغني والفقير والعالم والجاهل والوضيع والشريف ، كذلك المؤمن فإنّه يتواضع لله سبحانه ، ويتأسّى برسول الله (صلى الله عليه وآله) قائلا : أنا مسكين وأُحبّ المساكين وأُجالس المساكين ، ومن تواضع لله رفعه .

33 - الحقيقة :

المرآة في ماهيتها ومفهومها ذات حقيقة واحدة ، فإنّها تعكس الصور وتُري الأشياء ، كما هي على حقايقها ، فكذلك المؤمن فإنّه ذو حقيقة واحدة ، وشخصية منفردة في مفهومها فقد يجسّد حقيقة الإيمان في سلوكه وأفكاره وأعماله في المجتمع ومع إخوته المؤمنين فإنّ المؤمن مرآة المؤمن .

34 - الغنى :

من حقيقة المرآة أ نّها غنيّة في عطائها ، فلا تبطل عملها بالمنّ والأذى ولا تجرح مشاعر مشاهديها ، بل تهدي العيوب لأربابها ، فكذلك المؤمن ، فإنّه لا يبطل عمله بالمنّ وأذيّة الآخرين ، ولا يجرح مشاعر أخيه المؤمن وأحاسيسه مهما بلغ الأمر ، وعنده أحبّ الإخوان إليه من أهدى إليه عيوبه ، كما ورد في المأثور ، فهو غنيّ بغناء الله عزّ وجلّ .

35 - الإخلاص :

الكلّ يدري بأنّ المرآة مخلصة في بيان العيوب والمحاسن ، فكذلك المؤمن مع أخيه المؤمن يتعامل معه بكلّ إخلاص من دون غشٍّ ومكر وحيلة ، فهو مخلصٌ في إيمانه وعمله وسلوكه .

36 - الحبّ :

أليس المرآة تحبّ الجميع وتصافيهم ، وحديثها حديث الحُبّ والمودّة والصفاء ، كذلك المؤمن لإخوته في الإيمان فإنّه يكنُّ في أعماق وجوده مودّتهم ، ويملأ قلبه من محبّتهم ، ويبذل النفس والنفيس من أجل حكومة الصفاء والإخاء في المجتمع الإيماني .

37 - الأمانة :

المرآة أمينة ، حقيقة لا تنكر فإنّها لا تخون أصحابها ، فلا تفشي لهم سرّاً ولا تهرّج في معايبهم ، كذلك المؤمن فإنّه أمين لا يخون ، فإنّ للمؤمن ثلاث علامات : إذا حدّث لم يكذب وإذا ائتمن لم يَخُن ، وإذا وعدَ لم يخلف ، والجامع بين هذه الثلاثة هي حفظ الأمانة بالمعنى الأعم ، وأمّا المنافق في العمل ، فإنّ له ثلاث علامات وإن صلّى وصام - كما ورد في الخبر الشريف - : إذا حدّث كذب ، وإذا ائتمن خان وإذا وعد أخلف .

38 - الخير :

المرآة تعكس الخيرات ، كذلك المؤمن يعكس الخير لأخيه المؤمن ، فهو منبع كلّ الخيرات والخير منه مأمول ، والشرّ منه مأمون ، فهو أصل الإحسان والفضل ، وإنّه يرتجى منه الخير والمحاسن .

39 - الستار :

إنّما المرآة تذكّر العيوب الظاهرة ، وأمّا المستورة فلا يظهر فيها ستّارة العيوب المخفيّة فلا تحدّث بالبواطن ولا تحكي الخفايا ، كذلك المؤمن يستر على أخيه ما ستره الله عليه ، ولا يحبّ أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا كما لا يحبّ الله ذلك ، فربّه الله من صفاته الحسنى أ نّه ستّار العيوب كذلك المؤمن يتجلّى فيه صفات الله وأسمائه الحسنى فيستر العيوب من أخيه المؤمن على الآخرين .

40 ـ الصفاء :

المرآة صافية من صفائها تروي الصفاء ، كذلك المؤمن هو آية الصفاء وحديثه حديث الأُخوّة والصفاء ، يجسّد في سلوكه وأقواله وأحواله وآراءه حقيقة الصفاء . قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) : (العلم وراثة كريمة ، والآداب حال حسان والفكرة مرآة صافية ...)[9] .

41 ـ ترك الغرور :

لا تتغيّر المرآة بنفسها ، ولا تحتشم عن مصاحبة أيٍّ كان ، فهي للجميع ومع الجماعة ، كذلك المؤمن ينزّه عن الغرور والحشمة والكبكبة ، فلا يتطاول على الآخرين ، بل مع الجماعة وللمجتمع من أجل الإصلاح والسعادة .

42 ـ الإصلاح العام :

إنّ المرآة تذكر عيوب ومحاسن الأمير كما تذكر ذلك للفقير ، كذلك المؤمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويدعو إلى الإصلاح وسلامة المجتمع ، فيذكّر الأمير والفقير ، بلا تمييز عنصري أو طائفي أو قبلي أو طبقاتي ، فلا يسكت عن الأمير ليتهجّم على الفقير ، بل المؤمن مرآة المؤمن مطلقاً .

43 ـ عدم التوقّع :

المفروض أن لا ننتظر ونتأمّل من المرآة أكثر من حجمها ، فلا ترتج وتنتظر من أخيك المؤمن أكثر ممّا عنده ، فتحرجه أو تضايقه وربما ينتهي الأمر إلى مقاطعته ومعاداته ، فلا تتوقّع منه أكثر ممّا هو عليه .

44 ـ النفع العامّ :

لو كسر واحد منّا مرآته متعمّداً ، فإنّ العقلاء يذمّونه ويستقبحون عمله ، فإنّ المرآة مهما تكن فهي تنفع الإنسان ولا تضرّه ، كذلك المؤمن فإنّه ينفع الآخرين ، فإنّ خير الناس من نفع الناس كما ورد في الأثر النبويّ الشريف ، فيحفظ المؤمن في نفسه ، كما يحفظ في ولده وأهله ، ولا يقهر ولا يكسر عمداً ، ورفع عن الأُمّة ما لم يكن فيه العمد ، ومن دون تقصير وإهمال .

45 ـ الإطار الإلهي :

زينة المرآة إطارها الخارجي ، ولا بدّ من إطار لئلاّ تجرح أيدي قابضيها ومتناوليها ، والمؤمن يؤطّر بالأخلاق الحسنة والمبادئ السامية والمُثل القيّمة ، ويتزيّن بالسُنن والآداب ، ولا يجرح شعور الآخرين فإنّه ملجم في كلامه وحركاته وسكناته ، وإنّه مرآة أخيه المؤمن ، قد تأطّر بإطار إلهي ، وتحلّى بصبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة ؟

46 ـ الوعاء الكبير :

إنّ المرآة الكبيرة تصوّر تماماً وجود الإنسان فإنّ وعاءها أكبر ، كذلك المؤمن الكبير في همّته ، الغزير في علمه ، الينبوع في فضائله ، المخلص في عمله ، قلبه وسيع ، وصدره فسيح ، والقلوب أوعية ، خيرها أوعاها .

47 ـ البياض :

المرآة ذات اللون الأسود تعكس الأشياء وكأ نّها سوداء ، وإذا كانت بيضاء فكذلك الأمر ، والمؤمن لو اسودَّ قلبه بالذنوب والآثام ، فإنّه يرى الأشياء كلّها سوداء مظلمة ، فيسيء الظن بأخيه المؤمن ، والقرآن الكريم يقول :

(اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إثْمٌ) ([10]) .

48 ـ اللقاء الحسن :

إذا فقدتَ المرآة التي تعتَزُّ بها فإنّك تتألّم وتتأثّر ، فكن لأخيك المؤمن متأثراً وحزيناً بفقدانه وهجرانه .. فإنّ المؤمن مرآة المؤمن ، يفرح بلقائه ويحزن بفقده .

49 ـ فرحة الرؤية :

إذا وجدتَ المرآة فإنّك تفرح بها وتسرّ لا سيّما لو كانت ضائعة ، وأنت مرآة أخيك المؤمن عليك أن تفرح بلقائه ويزيدك شغفاً رؤية محيّاه الباسم ، فإنّ المؤمن بشره في وجهه ، وحزنه في قلبه .

50 ـ الإعانة :

المرآة معينة الإنسان فإنّ بإمكانه أن يستعين بها ليُشاهد من خِلالها الأشياء التي من حوله ، كذلك المؤمن يستعين في حلّ قضاياه ومشاكله الفردية والاجتماعية بإخوته من المؤمنين ، كما هو يعين الآخرين ، فيتعاونون على البرّ والتقوى والإيمان الصادق كما أمرهم ربّهم بذلك في قوله تعالى :

(وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى) ([11]) .

51 ـ التذكير :

المؤمن يذكّر أخاه المؤمن ربّه برؤيته ويذكّره بصفات الله وأسمائه ، كما أنّ المرآة يُستدلّ بها على صفات الله سبحانه وتعالى ، كما جاء ذلك في كتب الاحتجاج في قصّة الإمام الرضا (عليه السلام) مع عمران عندما كان يسأله عن الله وكيفية صفاته فقال عمران :

يا سيدي فإنّ الذي كان عندي أنّ الكائن قد تغيّر في فعله عن حاله بخلقه الخلق ، قال (عليه السلام) : أحلتَ يا عمران في قولك : إنّ الكائن يتغيّر في وجه من الوجوه حتّى يصيب الذات منه ما يغيّره ، يا عمران هل تجد النار يغيّرها تغيّر نفسها ؟ أو هل تجد الحرارة تحرق نفسها ؟ أو هل رأيت بصيراً قطّ رأى بصره ؟ قال عمران : لم أرَ هذا ، ألا تخبرني يا سيدي أهو في الخلق أم الخلق فيه ؟ قال الرضا (عليه السلام) : جلّ يا عمران عن ذلك ، ليس هو في الخلق ولا الخلق فيه ، تعالى عن ذلك ، وسأُعلمك ما تعرفه به ، ولا قوّة إلاّ بالله ، أخبرني عن المرآة أنت فيها أم هي فيك ؟ فإن كان ليس واحد منكما في صاحبه ، فبأيّ شيء استدللت بها على نفسك ؟ قال عمران : بضوء بيني وبينها ، قال الرضا (عليه السلام) : فأرِناه ، فلم يحر جواباً ، قال (عليه السلام) : فلا أرى النور إلاّ وقد دلّك ، ودلّ المرآة على أنفسكما من غير أن يكون في واحد منكما ، ولهذا أمثال كثيرة غير هذا ، لا يجد الجاهل فيها مقالا ولله المثل الأعلى([12]) .

يقول العلاّمة المجلسي في بيان ذلك : قوله (عليه السلام) : (هل تجد النار يغيّرها نفسها ؟) حاصله أنّ الشيء لا يؤثّر في نفسه بتغيير وإفناء وتأثير ، بل إنّما يتأثّر من غيره ، فالنار لا تتغيّر إلاّ بتأثير غيرها فيها ، والحرارة لا تحرق نفسها ، والبصر لا ينطبع من نفسه ، بل من صورة غيره ، فالله سبحانه لا يمكن أن يتأثّر فليس من ذلك ، لأنّ أحد العضوين مؤثّر والآخر متأثّر أو يقال : الإنسان أثّر في نفسه بتوسّط غيره وهو عضو منه ، والله سبحانه لا يتأتّى فيه ذلك ، لوحدته الحقيقيّة وبساطته المطلقة ، فلا يعقل تغيّره بفعل نفسه بوجه ، ثمّ لمّا توهّم عمران أنّ الخلق والتأثير لا يكون إلاّ بكون المؤثّر في الأثر ، أو الأثر في المؤثّر ، أجاب بذكر بعض الشرائط العلل الناقصة على التنظير ، فمثّل بالمرآة حيث يشترط انطباع صورة البصر في المرآة وانطباع صورة المرآة في البصر ، بوجود ضوء قائم بالهواء المتوسّط بينهما ، فالضوء علّة ناقصة لتأثّر البصر والمرآة مع عدم حصوله في شيء منهما ، وعدم حصول شيء منهما فيه ، فلِمَ لا يجوز تأثير الصانع في العالم ، مع عدم حصول العالم فيه ، ولا حصوله في العالم ؟([13])

52 - الإضاءة :

المرآة مضيئة تنير عند انطباع شعاع النور فيها كذلك المؤمن سراجاً منيراً مضيئاً ، لما ينطبع النور الإلهي في قلبه ، فإنّ العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء كما ورد في الخبر الشريف ، وآمنة بنت وهب لمّا حملت نور النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) كان يرى النور في وجهها ، كما جاء في الخبر : (وكانت آمنة بعد ذلك يُرى النور في وجهها كأ نّه المرآة المضيئة)([14]) .

53 - عداء الجهّال :

أكثر الناس يجهلون حقيقة المرآة وكيفية تركيبها وصنعها ، إلاّ من كان من أهل الصنعة والخبرة ، وكذلك المؤمن فإنّ أغلب الناس يجهلونهم حتّى يعادونهم فإنّ الناس أعداء ما جهلوا ، إلاّ المؤمن فإنّه يعرف أخاه المؤمن ، ويقيّم إيمانه ، فإنّ المؤمن مرآة المؤمن .

54 - ذكر الجميع :

من خصائص المرآة أ نّها تذكر العيوب جميعاً كما تذكر المحاسن كلّها ، فلا تغفل عن عيب وحسن ، وكذلك المؤمن لأخيه المؤمن .

55 - الاعتماد بالنفس :

إنّ المرآة تعتمد على ما تقول ، ولم تتزلزل في بيان الحقائق من المحاسن والمعايب ، وكذلك المؤمن يتوكّل على الله ويعتمد على نفسه في بيان ما يلزم بيانه بالنسبة إلى أخيه المؤمن ، فإنّه مرآته كما ورد .

56 - اليقين :

إنّ المرآة على يقين تامّ فيما تحكى من المعايب والمحاسن فلا تروي بشكّ وريب وظنّ ، بل بكلّ علم وقطع ويقين ، وكذلك المؤمن .

57 - الأنس :

يأنس الناس بالمرآة في حضرهم وسفرهم ، كما هي تأنس بالآخرين ، فتحكي الأُنس والمؤانسة ، وكذلك المؤمن مع المؤمنين .

58 - البيان الواضح :

فإنّ المرآة لا تضرب ناظرها من الخلف بخنجر ، بل حكايتها وجهاً لوجه ، وليس لها في مقام الحكاية إلاّ الإمام ، فكذلك المؤمن مع أخيه المؤمن .

59 - الوفاء بالعهد :

إنّ المرآة تفي بعهدها في إظهار الحقائق الإيجابيّة والسلبيّة على حدّ سواء ، وكذلك المؤمن للمؤمن .

60 - عدم مطالبة الأُجرة :

فإنّ المرآة في أداء وظيفتها الخاصّة من البيان والتبيان والتربية والتعليم لا تطالب الأُجرة ، وكذلك المؤمن مع أخيه المؤمن في أداء الوظائف الواجبة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يطالب بالأُجرة ، فإنّ أجره على الله سبحانه ، فلا يطالب بحطام الدنيا .

61 - ترك الحسد :

فإنّ المرآة مع مرآة أُخرى في بيان الحقائق لا تحسدها فلا حسد بينهما ، بل كلّ المرايا تعمل بهدف واحد ، وكذلك المؤمن مع غيره من المؤمنين ، فإنّ هدفهم هو الله الواحد الأحد ، فلا يحسد بعضهم بعضاً .

62 - الجهاد :

إنّ المرآة تبذل الجهد والنفس والنفيس في بيان الواقع والحقيقة ، فهي دائماً في جهاد ، وكذلك المؤمن لا تراه إلاّ مجاهداً في سبيل الله ويبذل النفس والنفيس لأخيه المؤمن فإنّه مرآته ، فيسعى مشكوراً من أجل إصلاحه وتطويره برفع المساوئ وزيادة الحسنات .

63 - الاحتياج :

كلّ واحد من أجل رفع الشين وزيادة الزين يحتاج إلى المرآة ، وكذلك المؤمن بحاجة ماسّة إلى أخيه المؤمن في الصلح والإصلاح والفلاح .

64 - الشكر :

كلّ واحد يشكر المرآة في بيانها الحقائق ، ولا يتألّم منها ، بل يعتزّ بها ويعلّقها على الحائط ، ويشاهدها كلّ يوم ويتعاهدها بالنظافة واللطافة ، وكذلك المؤمن يتجلّى فيه الشكر ، وإنّه من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق ، فالمؤمن يتعاهد المؤمن ويشكره على ما يجود عليه من الفضائل والمكارم ، ومنها بيان المحاسن والمعايب .

65 - النورانيّة :

المرآة إنّما تعكس الأشياء بعد أن ينعكس فيها النور فلا يرى الشيء في الظلام ، وكذلك المؤمن إنّما يكون مرآة لأخيه المؤمن لو كان نورانياً بنور الله سبحانه وبنور رسوله وولاية أهل البيت (عليهم السلام) ، فالمؤمن المرآتي يكون نورانياً .

66 - الحُسن :

إنّ المرآة في ماهيّتها لم تتّصف بالسوء والشين ، بل في جوهرها وباطنها حسنة وجميلة ، وكذلك المؤمن حسن الباطن .

67 - التساوي بين الرجال والنساء :

إنّ المرآة لا تفرّق بين الرجال والنساء والكبار والصغار في بيان المحاسن والمعايب ، كذلك المؤمن بالنسبة إلى المؤمنين والمؤمنات ، فإنّه يساوي بينهما في مقام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند اجتماع شرائطهما .

68 - التكتّم :

إنّ المرآة تظهر العيوب الظاهرة وتحكي ذلك لناظرها دون البواطن ، فإنّها تكتم ذلك فيما كان مستوراً فلا تفضحه ، فكذلك المؤمن لأخيه المؤمن .

69 - النقصان :

لو كان في المرآة نقص فإنّه لا يمنع ذلك من أن تقول الحقيقة ، وتحكي ما ينطبع فيها من المحاسن والمساوئ ، كذلك المؤمن لأخيه المؤمن ، فإنّ نقصه لا يمنعه من أن يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر .

70 - ظهور الحقّ :

لولا المرآة لما ظهرت العيوب والمحاسن للآخرين ، وكذلك المؤمن فلولاه لما عرف الإيمان ولا المؤمن .

وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعليّ (عليه السلام) : لولاك لما عرف المؤمنون ، فالحقّ يظهر بالمؤمن الإنسان الكامل .

71 ـ الصمود :

لا تبالي المرآة في قولها الحقّ والحقيقة فهي صامدة ، وكذلك المؤمن مع المؤمنين يمتاز بصموده ونضاله الدؤوب .

72 ـ الثبات :

تمتاز المرآة بأ نّها ثابتة في البيان والتبيان ، فتقول ما تراه الحقّ بكلّ ثبات ومن دون شكّ وترديد ، وكذلك المؤمن لأخيه .

73 ـ العمل المتواصل :

إنّ المرآة لا تتعب في بيان الحقائق وإنّما تحكي ذلك دائماً بلا كسل ولا تضجّر ولا تملّل ، وكذلك المؤمن لإخوته .

74 ـ بلا مكان :

إنّ المرآة في حكايتها تقول الحقّ في كلّ مكان ، فهي فوق المكان ، وكذلك المؤمن لأخيه المؤمن ، فإنّه لا ينحضر بمكان خاصّ في بيان الحقيقة والواقع .

75 ـ بلا زمان :

المرآة تتجاوز الزمان في الحكاية والبيان ، فلا تتقيّد بزمان دون زمان ، وكذلك المؤمن ، فهو يتعدّى الزمان في قوله الحقّ .

76 ـ غير طامع :

المرآة في أداء وظيفتها ومسؤولياتها لا تطمع بناظرها ، كذلك المؤمن مع أخيه المؤمن .

77 ـ الشجاعة :

لا تخاف المرآة في بيان الحقائق ، بل بكلّ شجاعة وبسالة تقول قولتها ، ولا تبالي حتّى لو كسروها وحطّموها ، كذلك المؤمن .

78 ـ الإحساس المُرهَف :

إنّ المرآة ربما تنثلم أو تنكسر بحجر صغير ، فتحمل الحسّاسية المرهفة ، وكذلك المؤمن ، فلا نجرح عواطف الآخرين بأفعالنا وكلامنا ، فكلّ واحد منّا مرآة أخيه المؤمن .

79 - الشفّافيّة :

تمتاز المرآة بشفّافيّة ، والمشاهد إنّما يرى صفاءها وشفّافيتها ، وإنّها لتخفي سوادها أو احمرارها المنطبع خلفها ، وكذلك المؤمن شفّاف في سلوكه ومعاشرته مع إخوته المؤمنين .

80 - السخاء :

إنّ المرآة تجود على مشاهديها فهي سخيّة في عطائها وفي بيان الحقائق ، وكذلك المؤمن سخيّ وجواد في طبعه وفي أمواله ووجاهته ، وإنّ الله سبحانه يحبّ السخاء ويحبّ الأسخياء ، فالمؤمن ينتفع الناس بوجوده وحياته .

81 - الاطمئنان :

المرآة إنّما تحكي وتروي عن اطمئنان ، كما أنّ الناس يطمئنّون بروايتها وبيانها ، ولم يشكّ أحد في مقولتها ، فهناك اطمئنان متقابل بين المرآة وناظرها ، وكذلك المؤمنون ، فإنّ قلوبهم اطمأنّت بذكر الله ، وكان كلّ واحد للآخر مرآة ، فساد بينهم الطمأنينة والأمن .

82 - الجمع :

ربما من مجموعة مرايا يرى الإنسان نفسه كاملا ، فعند جمع المرايا الصغار تتمّ المشاهدة الكاملة ، كذلك المؤمن فربما يرى نفسه ويقف على محاسنه ومعايبه من خلال مجموع أفكار جماعة من المؤمنين فحينئذ يصلح نفسه ببركة ذلك الجمع .

83 - العمل الجبّار :

ربما من مجموع مرايا يصدر عمل لا يصدر من مرآة واحدة ، كما في صنع المكرسكوب والتلسكوب ، كذلك المؤمن مع إخوانه يصدر منهم عمل جبّار وعظيم لا يتحقّق بواحد منهم ، وإنّ يد الله مع الجماعة ، فالمؤمن مرآة المؤمن .

84 - الزهد :

إنّ المرآة بظاهرها تحكي السذاجة والزهد وعدم التكلّف في بيان الحقائق ، وكذلك المؤمن مع الآخرين وفي حياته الفردية والاجتماعية يعيش الزهد وعدم التكلّف ، ويدري أنّ شرّ الإخوان من تكلّف له .

85 - كتمان السرّ :

إنّ المرآة حافظة السرّ ولا تذيع أسرار الناظرين بين الناس ، فما أن يتركها الناظر الذي كانت تحكي له الواقع من المعايب والمحاسن إلاّ وتكتم سرّه ، فعندما يأتي الناظر الثاني لا يفهم منها ما كان للأوّل ، وكذلك المؤمن مرآة المؤمنين فيكتم أسرارهم ، ولا يبيحها إلاّ إلى صاحبها .

86 - الراحة :

كلّ شخص يحسّ بالارتياح عندما ينظر إلى المرآة ليرى نفسه ، حتّى لو حكت المرآة عيوبه ، فإنّه لا يزال يحسّ بالراحة

والارتياح النفسي ، فالمرآة مظهر الراحة ، كذلك المؤمن في معاشرته وحديثه وسلوكه يرتاح الناس إليه ، فلا يكون عليهم ثقيلا فإنّه ذو دعابة وبشاشة وابتسام ، فهو مرآة المؤمنين .

87 ـ عدم اليأس :

من الواضح أنّ المرآة لا تيأس في حكايتها وبيانها الواقعيات ، فهي تحكي العيب لمن ينظر فيها ولو تكرّر ذلك بالمئات ، فما دام الناظر لم يزل عيبه ، فهي تروي له ذلك وتذكّره كلّما التقى بها حتّى يزيله ، كذلك المؤمن لأخيه المؤمن ، فإنّه لا ييأس في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، في بيان المحاسن والعيوب ، بل دائماً يذكّره حتّى يصلح نفسه ، فإنّه يريد أن يعيش معه ويكون معه حتّى يوم القيامة وفي الجنّة ، فإنّ الأخلاّء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلاّ المتّقون ، فإنّ الذي يبني من اليوم الأوّل على التقوى أحقّ أن يقام ويخلّد إلى يوم القيامة ، فالصداقة الإيمانية التي تبتنى على التقوى إنّما تكون إلى يوم القيامة ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، فحينئذ كيف يرضى المؤمن أن يكون في أخيه المؤمن عيباً يحرمه من الجنّة ، أو لا يزيد في حسناته حتّى يكون من جوار الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) ، فالمؤمن مرآة المؤمن .

88 ـ الاستقلال :

إنّ المرآة لا تتعلّق بزمان ومكان كما ذكرنا ، فإنّها في بيانها مستقلّة لا تعتمد على الآخرين ، فهدفها إيصال الحقّ ، وكذلك المؤمن مع أخيه المؤمن .

89 ـ النور :

المرآة تعكس الأنوار ، وكذلك المؤمن ، فإنّ إيمانه منبع الأنوار فهو يعكس الأنوار الإلهيّة والنبويّة والولويّة ـ أي المنسوبة إلى أولياء الله وهم الأئمة الأطهار (عليهم السلام) ومن يحذو حذوهم من ورثة الأنبياء (عليهم السلام) ـ .

90 ـ الأدب :

إنّ المرآة لتحمل في جوهرها وقولها الأدب الرفيع ، فلا تسيء في بيانها المعايب والمحاسن ، بل بكلّ لطف وأدب تروي الحقائق ، كذلك المؤمن ، فإنّه آية في الأدب الإسلامي الناصع .

91 ـ نكران الذات :

المرآة لا تنظر إلى نفسها ، فهي في واقعها تنكر ذاتها من أجل الآخرين ، كذلك المؤمن يمتاز بنكران ذاتـه ، فإنّ هدفه إصلاح المجتمع ، لا إظهار نفسه ووجوده .

92 ـ الطهارة :

إنّ المرآة في الأعراف تعدّ مظهراً للطهارة والقداسة ، فمثلا عند الفرس في عيد نوروز عيدهم الوطني ، يضعون المرآة في مائدة العيد لتحكي لهم الطهارة ، كذلك المؤمن فهو الطاهر المطهّر .

93 ـ الشرف :

المرآة شريفة في حياتها المرآتية ، فمن شرافتها أ نّها لا تبيح السرّ لغير ناظرها ، وكذلك المؤمن شريف في حياته مع الآخرين ، ولا يرتكب ما يخلّ بشرفه وعفّته .

94 ـ الكفاءة :

من خصائص المرآة أ نّها تمتاز بالكفاءة الذاتية في بيان الحقائق ، وهكذا تعلّم الناس بحسن الكفاءة والاستقلال الذاتي ، وكذلك المؤمن لأخيه المؤمن .

95 ـ القدوة :

كلّ واحد في حياته بحاجة إلى قدوة وأُسوة ، لما في الحياة من الهيبة ، وليطابق الإنسان سلوكه وأعماله لأُنموذج يقتدى به ويسار على هداه ، والقدوة الأُولى هو الله سبحانه ، كما ورد في الخبر الصادقي (عليه السلام) : « تخلّقوا بأخلاق الله » ، فسبحانه قدوة الأنبياء ثمّ الأوصياء ثمّ العلماء الصلحاء الأمثل فالأمثل ، فالناس يحتاجون إلى قدوة صالحة ، لا سيّما المؤمن ، والقدوة بمنزلة المرآة يرى الإنسان فيها نفسه ليصلحها برفع نقاط الضعف منه وتقوية نقاط القوّة فيه ، فالمؤمن قدوة للآخرين (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً) ([15]) ، فالمؤمن قدوة أخيه المؤمن .

96 ـ العلم :

إنّ المرآة لتخبر عن المحاسن والمعايب عن علم وتحكي الكلّيات منهما ، فهي بمنزلة العالمة بما تحكي وتقول ، فكذلك المؤمن إنّما يكلّم الناس عن علم ويخبر عن الكلّيات والعمومات .

97 ـ المعرفة :

المرآة تروي الجزئيات ودقائق الحسن والعيب ، فعن معرفة تامّة تروي ما تعلم ، فهي بمنزلة العارفة بما تقول ، فكذلك المؤمن فإنّه عارف بالله وبمعرفته عن معرفة يذكر ما يعرفه لأخيه المؤمن . والفرق بين العلم والمعرفة أنّ الأوّل في الكلّيات والثاني في الجزئيات .

98 ـ الله والإنسان :

ربما يكون المراد من المؤمن الأوّل في قوله (صلى الله عليه وآله) : (المؤمن مرآة المؤمن) هو الإنسان والمؤمن الثاني هو الله سبحانه وتعالى([16]) فإنّ من أسمائه الحسنى كما في كتابه الكريم (المؤمن) .

فالإنسان الذي هو أشرف المخلوقات ، لو آمن بالله ورسوله واليوم الآخر ، وكان مؤمناً حقّاً ، فهو مرآة الله سبحانه وتعالى ، تظهر وتتجلّى فيه أسماؤه الحسنى وصفاته العُليا ، وإنّما يتجلّى أوّلا في الإنسان الكامل الذي اشتقّ نوره من نور الله سبحانه ، وهو النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) كما جاء في حديث المعراج : (يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك) فهو المؤمن الكامل حقّاً ، ثمّ يتلو في المقام وصيّه ، ثمّ الأمثل فالأمثل من عباد الله الصالحين ، وما به الاشتراك بين الأنبياء والأوصياء هو الحقيقة المحمّدية ، وهي الولاية الإلهية العظمى . وإنّ قلب المؤمن حرم الله وعرش الرحمن ، وجاء في الخبر الشريف : يتقرّب إليّ عبدي

المؤمن بالنوافل حتّى أحبّه فإذا أحببته ، أكون سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها . وبإمكان الإنسان بلطف من الله أن يصل إلى كماله المطلق ومطلق الكمال ، إلى قاب قوسين من القرب المعنوي الروحاني أو أدنى :

(وَإِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحَاً فَمُلاقِيه) [17] .

وإلى الله المنتهى ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، فيكون الإنسان المؤمن في قوسه النزولي والصعودي مرآة ربِّه العليّ جلّ جلاله ، واجب الوجود لذاته ، المستجمع لجميع الصفات الكمالية والجلالية .

99 ـ النبيّ والوصيّ (عليهما السلام) :

ويمكن أن يُراد من المؤمن الأوّل هو أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) والمؤمن الثاني هو رسول الله (صلى الله عليه وآله) فعليّ مرآة أخيه محمّد (عليهما السلام) ، ومن أراد أن يُشاهد الرسول في أخلاقه وعلمه وكمالاته ويدخل مدينة حكمته ، فعليه أن يأتي البيوت من أبوابها ، وعليّ باب مدينة علم رسول الله ، فهو مرآة حق وإيمان لأخيه محمّد (صلى الله عليه وآله) وهو القائل : (علّمني رسول الله ألف باب من العلم ينفتح لي من كلّ باب ألف باب) ، فصراط عليّ حقّ نمسكه ، ومن تمسّك بولاية علي (عليه السلام) فقد تمسّك بحبل الله جلّ جلاله ، وأُولئك هم الفائزون المفلحون .

* * *

مرآتية المؤمن في الروايات الشريفة

بحار الأنوار[18] بسنده عن المعلّى بن خنيس قال :

قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : ما حقّ المؤمن على المؤمن ؟

قال : سبع حقوق واجبات ما فيها حق إلاّ وهو عليه واجب ، إن خالفه خرج من ولاية الله وترك طاعته ، ولم يكن لله عزّ وجلّ فيه نصيب .

قال : قلت : جُعلت فداك حدّثني ما هنّ ؟

قال : يا معلّى إنّي شفيق عليك ، أخشى أن تضيّع ولا تحفظ وتعلم ولا تعمل .

قلت : لا قوّة إلاّ بالله .

قال : أيسر حقّ منها أن تحبّ له ما تحبّ لنفسك ، وتكره له ما تكره لنفسك .

والحقّ الثاني : أن تمشي في حاجته وتبتغي رضاه ولا تخالف قوله .

والحقّ الثالث : أن تصله بنفسك ومالك ويدك ورجلك ولسانك .

والحقّ الرابع : أن تكون عينه ودليله ومرآته وقميصه .

والحقّ الخامس : أن لا تشبع ويجوع ، ولا تلبس ويعرى ، ولا تروى ويضمأ .

والحقّ السادس : أن تكون لك امرأة وخادم ، وليس لأخيك امرأة وخادم أن تبعث خادمك فيغسل ثيابه ويصنع طعامه ويمهّد فرشه ، فإنّ ذلك كلّه إنّما جعل بينك وبينه .

والحقّ السابع : أن تبرَّ قسمه ، وتجيب دعوته ، وتشهد جنازته ، وتعوده في مرضه ، وتشخص بدنك في قضاء حاجته ، ولا تحوجه إلى أن يسألك ، ولكن تبادر إلى قضاء حاجته ، فإذا فعلت ذلك به ، وصلت ولايتك بولايته ، وولايته بولاية الله عزّ وجلّ .

وفي الصفحة 238 : ما حقّ المسلم على المسلم .. ثمّ ينقل الرواية نفسها .

البحار[19] بسنده عن الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال :

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : المؤمن مرآة لأخيه المؤمن ينصحه إذا غاب عنه ، ويميط عنه ما يكره إذا شهد ، ويوسّع له في المجلس .

البحار[20] : قال الإمام الصادق (عليه السلام) :

لكلّ شيء شيء يستريح إليه ، وإنّ المؤمن يستريح إلى أخيه المؤمن ، كما يستريح الطير إلى شكله ، أوَ ما رأيت ذلك ؟

وقال (عليه السلام) : المؤمن أخو المؤمن هو عينه ومرآته ودليله ، لا يخونه ، ولا يخدعه ، ولا يظلمه ، ولا يكذبه ، ولا يغتابه .

البحار[21] بسنده قال أبو عبد الله (عليه السلام) :

المسلم أخو المسلم ، وهو عينه ومرآته ودليله ، ولا يخونه ولا يظلمه ولا يخدعه ولا يكذبه ولا يغتابه .

تبيين : (مرآته) أي : يبيّن محاسنه ليركبها ، ومساويه ليجتنبها ، كما هو شأن المرآة ، أو ينظر إلى ما فيه من المعايب فيتركها ، فإنّ الإنسان في غفلة من عيوب نفسه ، وكذا المحاسن .

روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (المؤمن مرآة المؤمن)[22] .

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : المؤمن مرآة لأخيه المؤمن ينصحه إذا غاب عنه ، ويميط عنه ما يكره إذا شهد ، ويوسّع له في المجلس[23] .

عن أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) : يا كميل المؤمن مرآة المؤمن ، لأ نّه يتأمّله ، فيسدُّ فاقته ، ويجمل حالته([24]) .

الخاتمة

يذكر ذلك العلاّمة المجلسي في بحاره([25]) بعد بيان تحقيقي في حقيقة القوّة الباصرة وكيفية الإبصار والاختلاف فيها ، فقال :

ومنها : رؤية المرئيات في المرايا والأجسام الصقيلة ، واختلف في سببه ، وتفرّق آراؤهم إلى مذاهب أربعة :

الأوّل : مذهب أصحاب الشعاع حيث ذهبوا إلى أ نّه بانعكاس الخطوط الشعاعية ، وتفصيله إنّا نعلم تجربة أنّ الشعاع ينعكس من الجسم الصقيل ، كما ينعكس شعاع الشمس من الماء إلى الجدار ، ومن المرآة إلى مقابلها ، فإذا وقع شعاع البصر على المرآة مثلا ينعكس منها إلى جسم آخر ، وضعه من المرآة من البصر على وجه تتساوى زاويتا الشعاع والانعكاس ، فإذا قابلت المرآة وجه المبصر وكان سهم المخروط الشعاعي عموداً على سطح المرآة ، وجب انعكاس ذلك الخطّ العمود من سمته بعينه إلى مركز الجليديّة ، إذ لو انعكس إلى غيره لزم تساوي زاوية قائمة مع زاوية حادّة ، وانعكست الخطوط القريبة منه إلى باقي أجزاء الوجه فيرى الوجه . وإذا كانت المرآة غير مقابلة للبصر على الوجه المذكور ، لم ينعكس الشعاع إليه ، بل إلى جسم آخر ، من شأنه أن تتساوى به الزاويتان المذكورتان . فالمرئي في المرآة إنّما هو الأمر الخارجي ، لكن لمّا رؤي بالشعاع الذي رؤي به المرآة ، يظن أ نّه في المرآة وليس موجوداً في المرآة ، وإذا كان الوجه قريباً من المرآة والخطوط المنعكسة قصيرة ، يظنّ أن صورة المرئي قريبة من سطح المرآة ، وإذا كان الوجه بعيداً عنها والخطوط المنعكسة طويلة يظنّ الصورة غائرة فيها . وأورد عليه من الإيراد المذكور في محلّها .

الثاني : مذهب أصحاب الانطباع ، وتوضيحه : أ نّه كما أنّ القوّة الباصرة بحيث إذا قابلت جسماً ملوّناً مضيئاً ارتسمت صورته فيها ، فكذلك هي بحيث إذا قابلت جسماً صقيلا ارتسمت فيه صورة المرآة ، وشرط الانعكاس عندهم أيضاً ما مرّ من كون الجسم المقابل من المرآة مثل مقابلة المرآة للمبصر ، بحيث تتساوى زاويتا الشعاع والانعكاس من الخطوط الشعاعيّة الموهومة المفروضة المستقيمة .

الثالث : مذهب سخيف ضعيف ، وهو أنّ الصورة ينطبع في المرآة .

الرابع : مذهب أفلاطون ومن سبقه وتبعه من الإشراقيين ، حيث أثبتوا عالماً آخر سوى هذا العالم الجسماني الذي هو المحدّد للجهات ، مع ما فيه من الأجرام الفلكية والأجسام العنصرية ، وهو عالم متوسّط بينه وبين عالم المجرّدات العقلية الصرفة المنزّهة عن المقدار والحيّز والجهة والشكل . فإنّ أشخاص هذا العالم صور مثالية ، وأشباح برزخية ، مجرّدة عن الطبائع والموادّ ، نورانيّة ، يسمّى ذلك العالم عالم المثال ، وقالوا : إنّ الصور المرئية في المرايا وغيرها من الأجسام الصقيلة والصور المتخيّلة وأمثالها صور موجودة قائمة بنفسها ، إذ لو كانت الصور في المرآة لما اختلف رؤية الشيء باختلاف مواضع نظرنا إليها ، ولو كانت في الهواء لم يكن أن ترى ، لأنّ الهواء شفّاف لم يكن أن يرى ، وكذا ما حلّ فيه ، وليست هي صورتك بعينها بأن ينعكس الشعاع من المرآة إليك ، لبطلان القول بالشعاع لوجوه مذكورة في كتب القوم ، ولا في القوّة الباصرة أو غيرها من القوى البدنية لوجوه ذكروها ، فهي صور جسمانية موجودة في عالم آخر ، متوسّط بين عالمي الحسّ والعقل يسمّى بعالم المثال (المثل الأفلاطونية) ، وهي قائمة بذاتها معلّقة لا في محلّ ولا في مكان ، لها مظاهر كالمرآة في الصور المرئية المرآتية والخيال في الصور الخيالية .

وجاء في (المناقب) لابن شهرآشوب : ممّا أجاب الرضا (عليه السلام) بحضرة المأمون لضباع بن نصر الهندي وعمران الصابيّ عن مسائلهما : قال عمران : العين نور مركّبة أم الروح تبصر الأشياء من منظرها ؟ قال (عليه السلام) : العين شحمة ، وهو البياض والسواد ، والنظر للروح ، دليله أ نّك تنظر فيه فترى صورتك في وسطه ، والإنسان لا يرى صورته إلاّ في ماء أو مرآة وما أشبه ذلك ...([26])

قال العلاّمة المجلسي في بيان ذلك : قوله (دليله أ نّك تنظر فيه) كأنّ الغرض التنبيه على أنّ هذا العضو بنفسه ليس شاعراً لشيء ، لأ نّه مثل سائر الأجسام الصقيلة التي يرى فيها الوجه كالماء والمرآة ، فكما أ نّها ليست مدركة لما ينطبع فيها فكذا العين وغيرها من المشاعر ، أو دفع لتوهّم كون الانطباع دليلا على كونها شاعرة ، فيكون سنداً للمنع .

وجاء في (تحف العقول) : سأل يحيى بن أكثم عن قول علي (عليه السلام) : (إنّ الخنثى يورث من المبال) وقال : فمن ينظر إذا بال إليه ؟ مع أ نّه عسى أن تكون امرأة وقد نظر إليها الرجال ؟ أو عسى أن يكون رجلا وقد نظرت إليه النساء ؟ وهذا ممّا لا يحلّ . فأجاب أبو الحسن الثالث (عليه السلام) : إنّ قول علي (عليه السلام) : حقٌّ ، وينظر قوم عدول يأخذ كلّ واحد منهم مرآة ، وتقوم الخنثى خلفهم عريانة ، فينظرون في المرايا فيرون الشبح ، فيحكمون عليه .

قال العلاّمة المجلسي : بيان : ظاهره أنّ الرؤية بالانطباع لا بخروج الشعاع ، لقوله (عليه السلام) : (فيرون الشبح) ولأ نّه إذا كان بخروج الشعاع فلا ينفع النظر في المرآة ، لأنّ المرئي حينئذ هو الفرج أيضاً . ويمكن الجواب بوجهين :

الأوّل : إنّ مبنى الأحكام الشرعية الحقائق العرفية ، لا الدقائق الحكمية ، ومن رأى امرأة في الماء لا يُقال لغةً ولا عرفاً : إنّه رآها ، وإنّما يقال : رأى صورتها وشبحها ، والنصوص الدالّة على تحريم النظر إلى العورة إنّما تدلّ على تحريم الرؤية المتعارفة ، وشمولها لهذا النوع من الرؤية غير معلوم . فيمكن أن يكون كلامه (عليه السلام) مبنيّاً على ذلك لا على كون الرؤية بالانطباع ، ويكون قوله (فيرون الشبح) مبنيّاً على ما يحكم به أهل العرف ، وذكره لبيان أنّ مثل تلك الرؤية لا تسمّى رؤية حقيقية ، لا عرفاً ولا لغةً .

والثاني : أ نّه يحتمل أن يكون الحكم مبنيّاً على الضرورة ، ويجوز في حال الضرورة ما لا يجوز في غيرها ـ كلّما حرّمه الله أحلّه الاضطرار ـ فيجوز النظر إلى العورة كنظر الطبيب والقابلة وأمثالهما ، ولمّا كان هذا النوع من الرؤية أخفّ شناعة وأقلّ مفسدة ، اختاره (عليه السلام) لدفع الضرورة هناك بها ، فلا يدلّ على الجواز عند فقد الضرورة ، وعلى الانطباع . والأوّل أظهر . ومع ذلك لا يمكن دفع كون ظاهر الانطباع .

وسنتكلّم في أصل الحكم في موضعه إن شاء الله تعالى([27]) . انتهى كلامه رفع الله مقامه .

أقول :

هذا غيض من فيض في حقيقة المرآة والحديث النبوي الشريف : (المؤمن مرآة المؤمن) وما تصوّرناه وتبادر إلى الذهن القاصر من المعاني التي بلغت (99) معنىً ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ، وما أُوتينا من العلم إلاّ قليلا ، وفوق كلّ ذي علم عليم ، ولا يلقّاها إلاّ ذو حظٍّ عظيم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

([1]) رسالة طبعت في مجلة (نور الإسلام) الصادرة في بيروت العدد 11 و 12 سنة 1409 بـ (35) معنى ، وفي مجلة (الكوثر) الصادرة في إيران العدد الثاني لسنة 1416 بـ (55) معنى ، وطبعت في الموسوعة مع تنقيح وإضافات بـ (99) معنى .

([2]) بحار الأنوار 2 : 184 ، باب 26 .

([3]) بحار الأنوار 71 : 270 .

([4]) جاء في بحار الأنوار (70 : 333) في تفسير القلب وسواده بالذنوب وأنّ القلب يُران ، كما في قوله تعالى : (بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) ، فقال العلاّمة المجلسي (قدس سره) : والمراد بما كانوا يكسبون الأعمال الظاهرة القبيحة والأخلاق الباطنة الخبيثة فإنّ ذلك سبب لرين القلب وصداه وموجب لظلمته وعماه ، فلا يقدر أن ينظر إلى وجوه الخيرات ، ولا يستطيع أن يشاهد صور المعقولات ، كما أنّ المرآة إذا أُلقيت في مواضع النّدى ركبها الصّدا ، وأذهب صفاءها وأبطل جلاءها ، فلا يتفتش فيها صور المحسوسات . وبالجملة يشبه القلب في قسوته وغلظته وذهاب نوره ، بما يعلوه من الذنوب والهوس ، وما يكسوه من الغفلة والردى ، بالمرآة المنكدرة من الندى ، وكما أنّ هذه المرآة يمكن إزالة ظلمتها بالعمل المعلوم ، كذلك هذا القلب يمكن تصفيته من ظلمات الذنوب وكدورات الأخلاق بدوام الذكر والتوبة الخالصة والأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة ، حتّى ينظر إلى عالم الغيب بنور الإيمان ويشاهد مشاهدة العيان إلى أن يبلغ إلى أعلى درجات الإحسان ، فيعبد الله كأ نّه يراه ، ويرى الجنّة وما أعدّ الله فيها =
= لأوليائه ، ويرى النار وما أعدّ الله فيها لأعدائه . انتهى كلامه رفع الله مقامه .

البحار (71 : 270) : قال العلاّمة الراوندي في ضوء الشهاب : المرآة الآلة التي ترى فيها صورة الأشياء وهي مفعلة من الرؤية ، والمعنى أنّ المؤمن يحكي لأخيه المؤمن جميع ما يراه فيه ، فإن كان حسناً زيّنه له ليزداد منه ، وإن كان قبيحاً نبّهه عليه لينتهي عنه . انتهى .

([5]) بحار الأنوار 68 : 325 .

([6]) بحار الأنوار (73 : 239) : ذكر صاحب عوارف المعارف حديثاً أسنده أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) كان إذا سافر حمل معه خمسة أشياء : المرآة والمكحلة والمذري والسواك والمشط ، وفي رواية أُخرى والمقراظ . وقد ذكرت أحاديث كثيرة حول الصديق والصداقة في (معالم الصديق والصداقة) ، مطبوع في الموسوعة ـ المجلد 11 ، فراجع .

([7]) بحار الأنوار 10 : 91 .

([8]) بحار الأنوار 74 ، 65 . قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : يا عليّ إذا نظرت في مرآة فكبّر ثلاثاً وقُل : (اللّهم كما حسّنت خلقي فحسّن خُلقي) .

([9]) بحار الأنوار 1 : 169 و 182 .

([10]) الحجرات : 12 .

([11]) المائدة : 2 .

([12]) البحار 10 : 313 .

([13]) البحار 10 : 324 .

([14]) بحار الأنوار 15 : 104 .

([15]) الفرقان : 74 .

([16]) يقول العلاّمة المجلسي في بحاره (71 : 270) : قد ذهب بعض الصوفيّة إلى أنّ المؤمن الثاني هو الله تعالى ، أي المؤمن مظهر لصفاته الكمالية تعالى شأنه ، كما ينطبع في المرآة صورة الشخص والحديث يدلّ على أ نّه ليس بمراد من الخبر النبوي (صلى الله عليه وآله وسلم) . وقيل : المراد أنّ كلاً من المؤمنين مظهر لصفات الآخر ، لأنّ في كلّ منهما صفات الآخر ، مثل الإيمان وأركانه ولواحقه وآثاره والأخلاق والآداب ولا يخفى بُعده .

([17]) الانشقاق : 6 .

([18]) بحار الأنوار 71 : 224 .

([19]) البحار 71 : 233 .

([20]) البحار 71 : 337 .

([21]) البحار 71 : 270 .

([22]) البحار 71 : 270 .

([23]) البحار 71 : 233 .

([24]) البحار 74 : 269 و 414 .

([25]) بحار الأنوار 58 : 265 .

([26]) البحار 58 : 205 .

([27]) البحار 58 : 255 .

المؤمن مرآة المؤمن([1])

الحمد لله الذي جعل ما سواه مرآة لأسمائه وصفاته ، والصلاة والسلام على أشرف خلقه ومرآة كمالاته محمّد وآله الطاهرين مرايا الفضائل والمحامد والعلوم .

أمّا بعد :

فقد جاء في كتاب بحار الأنوار([2]) للعلاّمة المجلسي (قدس سره) ، تحت عنوان : إنّ حديث أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) صعب مستصعب ، وإنّ كلامهم نور يجلي القلوب ويزيل عنها الرين ، ويفتح أقفالها ، وإنّه ذو وجوه كثيرة ، ويحمل بطوناً عديدة ، كالقرآن الكريم ، وفضل التدبّر في أخبارهم ، وفي الباب 116 حديثاً فراجع .

وبسنده عن أبي عبد الله مولانا الإمام الناطق جعفر بن محمّد الصادق (عليهما السلام) أ نّه قال :

حديث تدريه خيرٌ من ألف حديث ترويه ، ولا يكون الرجل منكم فقيهاً حتى يعرف معاريض كلامنا ، وإنّ الكلمة من كلامنا لتنصرف على سبعين وجهاً ، لنا من جميعها المخرج .

فكلام الرسول الأكرم محمّد (صلى الله عليه وآله) وكلام أهل بيته الأبرار الأئمة الأخيار (عليهم السلام) ، كالقرآن الكريم ، بل من القرآن وإنّه يُحمل على وجوه كثيرة ـ وربما من باب المبالغة يُقال : سبعون وجهاً ـ ولكلّ بطن ووجه بطون أُخرى ، وينفتح من كل باب ألف باب ، لا يعلمها إلاّ الراسخون في العلم ، ولا يلّقاها إلاّ ذو حظٍّ عظيم ، وفوق كلّ ذي علم عليم .

ومن هذا المنطلق الكريم الذي يُعدّ كالبحر الموّاج الزاخر ، وكالسحاب المعطاة المليئة بالرحمة والشآبيب ، أُقدّم إلى القرّاء الكرام هذه الرواية المعروفة ، وبعض الوجوه والمعاني التي تبادرت إلى ذهني بعد تفكّر ساعة ، عسى أن يكون هذا مفتاحاً جديداً في تلقّي الآيات القرآنية الكريمة ، وأُفقاً مشعّاً في تفهّم الأخبار الشريفة ، ويكون هذا المتاع القليل والزاد الضئيل ، الخطوة الأُولى لمسيرة ألف ميل ، وما يدريك فإنّ فوق كلّ ذي علم عليم ، فتنفع هذه البضاعة المزجاة في الرشحات الفكرية والتأمّلات العقلية ، فأعتذر مقدمةً من هفوة القلم وزلّة القدم والعذر عند كرام الناس مقبول .

قال معلّم الإنسانية النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) : « المؤمن مرآة المؤمن »([3]) .

يمكن أن نستلهم من هذه المقولة التي تُعدّ من جوامع الكلم ـ بمعنى : قليلة الحروف والكلمات ، كثيرة المغزى والمعاني ـ وجوهاً عديدة وهي كالآتي :

في رحاب معاني حديث المرآة

1 ـ جلاء المرآة :

لقد ذكر علماء الأخلاق في تهذيب النفس وتربية الروح ثلاث مراحل : التخلية والتحلية والتجلية ، فلا بدّ أوّلا للمرآة من جلاء وصفاء([4]) وطهارة من الدرن والأوساخ ، حتى يشاهد الإنسان نفسه من خلال انعكاس صورته فيها ، فعلى المؤمن أن يطهّر نفسه وباطنه وظاهره من الأحداث والأخباث بطهارة ظاهرية وباطنية ، ويهذّب قلبه ، ويجلّي روحه ، حتّى يكون مرآة أخيه المؤمن .

2 ـ رؤية العيوب والمحاسن :

من مميّزات المرآة الصافية أ نّها تبدي المعايب ، كما تحكي المحاسن ، وكذلك المؤمن لأخيه المؤمن فكما يذكّره بعيوبه للإصلاح ورفعها ، فكذلك يذكّره بمحاسنه ومكارمه ، لتقويتها في النفس وتجليتها وتثبيتها ، فإنّ المرآة كما تذكر الرائي وتظهر النقطة القذرة على الوجه لإزالتها ، فإنها تعكس العين الجميلة الشهلاء أيضاً . وجاء في الخبر : التفكّر مرآتك تُريك سيئاتك وحسناتك([5]) .

3 ـ حكاية الواقع :

المرآة لا تكبّر العيب ولا تصغّره ، بل تحكيه كما هو من دون زيادة ونقصان ، فهي تحكي الواقع ، فكذلك المؤمن إنّما يذكر العيب لأخيه بنفس المقدار ، فلا يزيد حتّى يستوجب اليأس ويصعب عليه الأمر ، ولا ينقصه حتّى يستصغر الأمر ولا يبالي به ولا يهتمّ له ، بل بنفس الحجم والمقدار .

4 ـ المجابهة :

من خصائص المرآة أ نّها تذكر العيب لناظرها وجهاً بوجه ، فلا تحاكي العيوب من وراءه وخلفه ، فكذلك المؤمن إنّما يذكر عيب أخيه المؤمن أمامه فإنّ المقصود إصلاحه بالخصوص لا ازدراءه وتحطيم شخصيته والاستهانة به ، فلا يستغيبه ، ولا يأكل لحم أخيه ميّتاً ، ولا يحبّ أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا .

5 ـ الهدوء :

إنّما تذكر المرآة العيوب لأصحابها بالخصوص بكلّ هدوء وصمت من دون تهريج وفضح صاحب العيب أمام الآخرين ، فلا تريد الفضيحة لناظريها ، فكذلك المؤمن لأخيه المؤمن ، إنّما يذكّره بعيوبه ، ويبيّنها من أجل الإصلاح بكلّ اتّزان وهدوء ، ولا يذكر العيب للآخرين ليحطّم شخصيّته الاجتماعية ، ويذهب بماء وجهه بين الناس .

6 ـ ترك الحقد :

من محاسن المرآة أ نّها لا تأخذ العيب بقلبها ، فلا ينطبع في صدرها شيء ، بل بمجرّد ذهاب الناظر إليها ، يذهب معه ما عكسته من المعايب ، وكذلك المؤمن فلا يحقد على أخيه المؤمن ولا يحمل في صدره غيضه وعداوته ، ولا ينطبع في قلبه ودماغه عيب أخيه حيث لا ينساه أبداً ، بل بمجرّد التذكّر الأخوي بكلّ هدوء وصفاء ومحبّة ومن ثمّ الافتراق ينتهي كلّ شيء ، وكأ نّه لم يكن شيئاً مذكوراً ، فالمؤمن في سلوكه يجسّد لأخيه المؤمن الحبّ والإخلاص والمصافاة والإخاء والصفاء القلبي .

7 ـ النصح المتواصل :

المرآة لا تملّ ولا تتضجّر ولا تبدي التعب في بيان العيوب والمحاسن ، بل في كلّ مرّة تذكّر الشخص بعيبه حتّى يُزيله ويصلح أمره ، وكذلك المؤمن فإنّه دائماً يذكّر أخاه المؤمن وينصحه ، فإنّ الذكرى تنفع المؤمنين وتسوق المجتمع الإنساني إلى ساحل السلامة والسعادة ، فهدف المؤمن مع إخوته في الإيمان هو إصلاح الشخصية الإسلاميّة ، ومن ثمّ إصلاح المجتمع الإسلامي ، والأخذ بيد المؤمنين الذين تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر لإيصالهم إلى وادي السعادة وقمّة الكمال المنشود .

8 ـ العموميّة :

أليس المرآة في كلّ حال وفي كلّ زمان ومكان تقول كلمتها من أجل الصلاح والإصلاح ، فكذلك المؤمن لأخيه المؤمن ، فإنّه مرآته في كلّ الأحوال وفي كلّ مكان وزمان ، فلا تأخذه في الله في مقام النصيحة لومة لائم ، فهو يقول كلمته كلمة الحقّ والعدل والصدق .

9 ـ الجمال والأفضليّة :

مَنْ يَبغي شراء المرآة فإنّه يبحث عن أجمل مرآة وأفضلها ، وتناسبه وتتلاءم مع ما عنده ، فكذلك المؤمن يبحث عن أفضل أخ مؤمن يناسبه ويتلائم مع روحيّاته ، ويندمج مع نفسيّاته ، فيصادقه ويصافيه ويستأنس به في الضرّاء والسّراء .

10 ـ المساواة بين الناس :

لو نظر شخصان في مرآة ، وكان أحدهما يضحك والآخر يبكي ، فإنّ المرآة تعكس حالهما في آن واحد ، كلّ واحد على ما عليه من الحال ، فكذلك المؤمن مع إخوته المؤمنين ، فإنّه يحكي ويعكس حالهم وحقيقتهم في آن واحد ، فلا يشتبه عليه الأمر فإنّه قليلٌ زَلَلُهُ كما ورد في الخبر ، وإنّه يساوي بين إخوانه ، كلٌّ بحسب حاله .

11 ـ سرعة الرضا :

لو نظرت إلى المرآة في حالة الغضب وسرعان ما ضحكت وانقلب حالك فإنّ المرآة تضحك معك فهي سريعة الرضا ، وكذلك المؤمن مرآة أخيه المؤمن فهو بطيء الغضب وسريع الرضا .

12 ـ العدالة :

إنّ المرآة عادلة تعدل بين الناس في مسؤوليتها ، فتعطي كلّ واحد من ناظريها حقّه وما يستحقّه من دون إجحاف وتبذير ، ومن دون تعسّف وتنكير ، فكذلك المؤمن مع المؤمنين فهو عادل في سلوكه ، يضع الأشياء في مواضعها من دون إفراط ولا تفريط .

13 ـ المثابرة :

لو انكسرت المرآة وتناثرت وتحطّمت ، فإنّها تقول كلمتها ، وكلّ قطعة منها تحكي الواقع وتذكّر الناظر ، وكذلك المؤمن فإنّه لو تحطّم في المجتمع وحورب وجعلوه إرباً إرباً ، فإنّه لا يزال يقول كلمته الحقّ ليزيل العيوب عن الفرد والمجتمع فإنّه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لا بقلبه ولسانه ، بل بكلّ جوانحه وجوارحه ، فإنّه يثابر بكلّ ما يملك من أجل إعلاء كلمة الحقّ ، فيكون تجسيداً للمعروف وتعكس الحال ، كما هو الحال في قطعات المرآة .

14 - الفرد والجماعة :

المرآة كما هي مرآة للفرد فكذلك مرآة للجماعة ، وكذلك المؤمن فهو مرآة أخيه المؤمن كما هو مرآة مجتمعه الإيماني ، فإنّه يذكر العيوب والمحاسن على الصعيدين : الفردي والاجتماعي ، كلّ على حسب حاله وشأنه .

15 - المحافظة :

من الخطأ كسر المرآة التي تحكي وتعكس العيب للإصلاح ، وكذلك المؤمن المذكّر فإنّه يشكر على نقده البنّاء فإنّ من إيمانه الراسخ والخالص يريد الإصلاح في الأُمّة ، فمن الجهل تخطئته وكسره في المجتمع ومحاربته ونصب عداوته ، بل لا بدّ من الحفاظ عليه ورعايته .

16 - الصراحة :

من امتياز المرآة أ نّها دائماً تعتمد على كلامها وتصرّح بذلك لناظريها ، فلا تتراجع إلاّ عند إزالة العيب ، فكذلك المؤمن عندما يشاهد العيب فإنّه يذكّر صاحبه بذلك ، ولا يتراجع قيد أنملة ، ولا يساوم على ذلك قيد شعرة ، فهو كالجبل الراسخ لا تحرّكه العواصف ، فإنّه صبور وقور عند الهزاهز ثابت في القوّة والعقيدة كالمرآة .

17 - قول الحقّ :

إنّ المرآة قوّالة الحقيقة مع الجميع ، فلا صداقة ولا قرابة عند مشاهدتها العيب ، فإنّها تحكي ذلك على السواء ، فكذلك المؤمن يقول الحقيقة من دون مراعاة الصداقة أو القرابة أو الشركة أو غير ذلك ، فإنّ الحقيقة عنده فوق كلّ ذلك .

18 - التعليم :

المرآة مُعلّمة ، تعلّمنا كيف نرفع عيوب الآخرين ، وتعلّمنا أ نّه كما أُعلّم الناس بمحاسنهم وعيوبهم كذلك أنت ، والمؤمن عالم ربّاني أو متعلّم على سبيل النجاة فهو بين معلّم أو متعلّم ، بين علم مفيد أو مستفيد .

19 - المواساة :

إنّ المرآة لتفرح بفرحك وتضحك بضحكك ، كما إنّها تحزن وتبكي ببكائك ، وكذلك المؤمن يفرح بفرح أخيه المؤمن ويحزن بحزنه ، فيشاطره ويواسيه في همومه وأحزانه ، كما يقاسمه في أفراحه وسروره .

20 - الأُلفة :

إنّ المرآة لتألف الجميع فهي آلفة ومألوفة ، فإنّها سرعان ما تأخذ أطباع وألوان مشاهديها ، وكذلك المؤمن فإنّه إلفُ مألوف هشّ بشّ ، بشره في وجهه وحزنه في قلبه ، يحسن المجالسة حتّى مع اليهودي كما ورد في الروايات الشريفة .

21 - الاعتزاز بالمرآة :

من العقل أن نعتزّ ونحافظ على المرآة وإن ذكرت معايبنا ومحاسننا ، فكذلك المؤمن نعتزّ بصحبته ومعاشرته ليكون صديقنا الغالي في الحياة .

22 - الصداقة الدائمة :

لا بدّ من مصاحبة ومرافقة المرآة في حياتها في الحضر والسفر لنشاهد فيها جمالنا ونزيل بها عيوبنا ونحسّن مظاهرنا ، وكذلك المؤمن فلا بدّ من مصادقته ومعاشرته ليكون في حياتنا الفردية والاجتماعية مرآة عيوبنا ومحاسننا ، لنزيل نقاط الضعف فينا ، كما نقوّي نقاط القوّة ، فنسعد بصديق مؤمن صالح ، وأخ عزيز في الله ، ومن سعادة الإنسان الرفيق والصديق الموافق كما ورد في الأخبار([6]) .

23 - ترك الغيبة :

إذا رأيت نفسك في المرآة فإنّها تحدّثك عن نفسك لا غير ، فلا تذكر الآخرين أمامك بسوء ، وكذلك المؤمن إنّما يذكّرك بنفسك ، ولا يقرض الآخرين بمقاريض السوء والغيبة .

24 - النظافة :

الإنسان بطبيعته يحبّ النظافة فإنّه يفارق المرآة الوسخة والقذرة التي لا يمكن إصلاحها وجلائها ، فكن أ يّها المؤمن جميلا نظيفاً ، فإنّ الله جميل ويحبّ الجمال ، حتّى يرتاح إليك أخوك المؤمن ، ويفضّل معاشرتك على غيرك ، فإنّ المؤمن مرآة المؤمن .

25 - ترك السوء :

إنّ المرآة السيّئة القذرة يبغضها الجميع ، وعاقبتها الزبالة والكناسة وهجرانها ، فكذلك المؤمن فإنّه لو ساء خُلقه وأساء في العمل ، فإنّ المجتمع يبغضه ويقاطعه ويهجره رويداً رويداً ولا يودّ معاشرته ، إلاّ إذا تاب وأصلح أمره وعمل صالحاً ، وتحلّى بالمكارم والفضائل .

26 - حسن الخُلق :

أمّا المرآة الحسنة والنظيفة فهي محبّبة عند الجميع ، ومكانها محترم ومرموق ، وكذلك المؤمن حسن الخلق يحبّه الجميع ، فله مكانته الاجتماعية المرموقة ، فهو معزّز مكرّم بكرامة الله وعزّته ، فإنّ العزّة لله ولرسوله وللمؤمنين ولكنّ المنافقين لا يعلمون شيئاً . ومن أراد عزّة بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان ، فليخرج من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعته .

27 - رعاية الحقوق :

كلّ واحد يحافظ على مرآته كي لا تتوسّخ ويعلوها الغبار ، وكذلك المؤمن فلا بدّ له من مراعاة حقوق الأُخوّة ، والمحافظة

عليها من غبار الأذى وانكسار الخاطر ، ليبقي عُرى الأخوّة سالماً ، وحبل المودّة مستحكماً وقويّاً ، فإنّ المؤمن مرآة المؤمن .

28 ـ الصبر :

المرآة صبورة ، فلا تملّ من مجالسة الآخرين ، وتراعي حقوق المصاحبة وتتحمّل أيّ واحد كان ، وكذلك المؤمن فإنّه لا يتضجّر من الآخرين في ظاهر معاشرته ، ولا يظهر أمامهم الملل والكسل والانزعاج ، بل بكلّ أدب يحاول أن يصلح أمرهم ، ويهديهم إلى سواء السبيل ، وما فيه الخير والصلاح والصواب كالمرآة .

29 ـ ترك الصنميّة (التوحيد) :

إنّ المرآة لا تعبد ناظريها ولا تجعل منهم في قلبها صنماً ، فكذلك المؤمن لا يجعل من هواه ومن الآخرين صنماً يعبده دون الله سبحانه وتعالى ، فلا إله ولا معبود عنده سوى الله جلّ جلاله ، فلا تعصّب عنده ، ولا قوميّة ، ولا قبليّة ، ولا حزبية ، ولا ما شابه ذلك ، فإنّ كلّ ذلك يتنافى مع روح الإيمان ، ويستلزمه الشرك الخفي أو الجليّ كما هو واضح ، فلا صنميّة بين المؤمنين ، إنّما المؤمن مرآة أخيه المؤمن . فنظرته إليه على نحو آلية لا الاستقلالية .

30 ـ ترك الأنانيّة :

المرآة لا تدعو الناس إلى نفسها ، بل تذكّرهم بالله خالقهم ومصوّرهم فتدعو إلى الله بكلّ إخلاص ، ومن هذا المنطلق يستحبّ لمن ينظر نفسه في المرآة أن يدعو بهذا الدعاء كما جاء في المأثور : (الحمد لله خلقني فأحسن خلقتي ، وصوّرني فأحسن صورتي ، وزان منّي ما شان به غيري ، وأكرمني بالإسلام[7] ، اللّهم حَسِّن خُلقي كما أحسنت خِلقتي)[8] فالمرآة تذكّر الإنسان بربّه سبحانه ، وكذلك المؤمن يذكّره أخاه المؤمن بالله جلّ جلاله .

31 ـ التفاعل :

إنّ المرآة تتفاعل مع ناظريها ، فأيّ حركة تصدر منهم تحكي ذلك وتعكسه ، وكذلك المؤمن يتفاعل مع أخيه ومع مجتمعه ، فلا ينزوي عنهم ويتركهم ، بل معهم في حلّهم وترحالهم .

32 ـ التواضع :

من صفات المرآة أ نّها متواضعة في حقيقتها ، فإنّها تصوّر الآخرين وتجالس الغني والفقير والعالم والجاهل والوضيع والشريف ، كذلك المؤمن فإنّه يتواضع لله سبحانه ، ويتأسّى برسول الله (صلى الله عليه وآله) قائلا : أنا مسكين وأُحبّ المساكين وأُجالس المساكين ، ومن تواضع لله رفعه .

33 ـ الحقيقة :

المرآة في ماهيتها ومفهومها ذات حقيقة واحدة ، فإنّها تعكس الصور وتُري الأشياء ، كما هي على حقايقها ، فكذلك المؤمن فإنّه ذو حقيقة واحدة ، وشخصية منفردة في مفهومها فقد يجسّد حقيقة الإيمان في سلوكه وأفكاره وأعماله في المجتمع ومع إخوته

المؤمنين فإنّ المؤمن مرآة المؤمن .

34 - الغنى :

من حقيقة المرآة أ نّها غنيّة في عطائها ، فلا تبطل عملها بالمنّ والأذى ولا تجرح مشاعر مشاهديها ، بل تهدي العيوب لأربابها ، فكذلك المؤمن ، فإنّه لا يبطل عمله بالمنّ وأذيّة الآخرين ، ولا يجرح مشاعر أخيه المؤمن وأحاسيسه مهما بلغ الأمر ، وعنده أحبّ الإخوان إليه من أهدى إليه عيوبه ، كما ورد في المأثور ، فهو غنيّ بغناء الله عزّ وجلّ .

35 - الإخلاص :

الكلّ يدري بأنّ المرآة مخلصة في بيان العيوب والمحاسن ، فكذلك المؤمن مع أخيه المؤمن يتعامل معه بكلّ إخلاص من دون غشٍّ ومكر وحيلة ، فهو مخلصٌ في إيمانه وعمله وسلوكه .

36 - الحبّ :

أليس المرآة تحبّ الجميع وتصافيهم ، وحديثها حديث الحُبّ والمودّة والصفاء ، كذلك المؤمن لإخوته في الإيمان فإنّه يكنُّ في أعماق وجوده مودّتهم ، ويملأ قلبه من محبّتهم ، ويبذل النفس والنفيس من أجل حكومة الصفاء والإخاء في المجتمع الإيماني .

37 - الأمانة :

المرآة أمينة ، حقيقة لا تنكر فإنّها لا تخون أصحابها ، فلا تفشي لهم سرّاً ولا تهرّج في معايبهم ، كذلك المؤمن فإنّه أمين لا يخون ، فإنّ للمؤمن ثلاث علامات : إذا حدّث لم يكذب وإذا ائتمن لم يَخُن ، وإذا وعدَ لم يخلف ، والجامع بين هذه الثلاثة هي حفظ الأمانة بالمعنى الأعم ، وأمّا المنافق في العمل ، فإنّ له ثلاث علامات وإن صلّى وصام ـ كما ورد في الخبر الشريف ـ : إذا حدّث كذب ، وإذا ائتمن خان وإذا وعد أخلف .

38 - الخير :

المرآة تعكس الخيرات ، كذلك المؤمن يعكس الخير لأخيه المؤمن ، فهو منبع كلّ الخيرات والخير منه مأمول ، والشرّ منه مأمون ، فهو أصل الإحسان والفضل ، وإنّه يرتجى منه الخير والمحاسن .

39 - الستار :

إنّما المرآة تذكّر العيوب الظاهرة ، وأمّا المستورة فلا يظهر فيها ستّارة العيوب المخفيّة فلا تحدّث بالبواطن ولا تحكي الخفايا ، كذلك المؤمن يستر على أخيه ما ستره الله عليه ، ولا يحبّ أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا كما لا يحبّ الله ذلك ، فربّه الله من صفاته الحسنى أ نّه ستّار العيوب كذلك المؤمن يتجلّى فيه صفات الله وأسمائه الحسنى فيستر العيوب من أخيه المؤمن على الآخرين .

40 - الصفاء :

المرآة صافية من صفائها تروي الصفاء ، كذلك المؤمن هو آية الصفاء وحديثه حديث الأخوّة والصفاء ، يجسّد في سلوكه وأقواله وأحواله وآراءه حقيقة الصفاء . قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) : (العلم وراثة كريمة ، والآداب حال حسان والفكرة مرآة صافية ...)[9] .

41 - ترك الغرور :

لا تتغيّر المرآة بنفسها ، ولا تحتشم عن مصاحبة أيٍّ كان ، فهي للجميع ومع الجماعة ، كذلك المؤمن ينزّه عن الغرور والحشمة والكبكبة ، فلا يتطاول على الآخرين ، بل مع الجماعة وللمجتمع من أجل الإصلاح والسعادة .

42 - الإصلاح العام :

إنّ المرآة تذكر عيوب ومحاسن الأمير كما تذكر ذلك للفقير ، كذلك المؤمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويدعو إلى الإصلاح وسلامة المجتمع ، فيذكّر الأمير والفقير ، بلا تمييز عنصري أو طائفي أو قبلي أو طبقاتي ، فلا يسكت عن الأمير ليتهجّم على الفقير ، بل المؤمن مرآة المؤمن مطلقاً .

43 - عدم التوقّع :

المفروض أن لا ننتظر ونتأمّل من المرآة أكثر من حجمها ، فلا ترتجِ وتنتظر من أخيك المؤمن أكثر ممّا عنده ، فتحرجه أو تضايقه وربما ينتهي الأمر إلى مقاطعته ومعاداته ، فلا تتوقّع منه أكثر ممّا هوَ عليه .

44 - النفع العامّ :

لو كسر واحد منّا مرآته متعمّداً ، فإنّ العقلاء يذمّونه ويستقبحون عمله ، فإنّ المرآة مهما تكن فهي تنفع الإنسان ولا تضرّه ، كذلك المؤمن فإنّه ينفع الآخرين ، فإنّ خير الناس من نفع الناس كما ورد في الأثر النبويّ الشريف ، فيحفظ المؤمن في نفسه ، كما يحفظ في ولده وأهله ، ولا يقهر ولا يكسر عمداً ، ورفع عن الأُمّة ما لم يكن فيه العمد ، ومن دون تقصير وإهمال .

45 - الإطار الإلهي :

زينة المرآة إطارها الخارجي ، ولا بدّ من إطار لئلاّ تجرح أيدي قابضيها ومتناوليها ، والمؤمن يؤطّر بالأخلاق الحسنة والمبادئ السامية والمُثل القيّمة ، ويتزيّن بالسُنن والآداب ، ولا يجرح شعور الآخرين فإنّه ملجم في كلامه وحركاته وسكناته ، وإنّه مرآة أخيه المؤمن ، قد تأطّر بإطار إلهي ، وتحلّى بصبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة ؟

46 - الوعاء الكبير :

إنّ المرآة الكبيرة تصوّر تماماً وجود الإنسان فإنّ وعاءها أكبر ، كذلك المؤمن الكبير في همّته ، الغزير في علمه ، الينبوع في فضائله ، المخلص في عمله ، قلبه وسيع ، وصدره فسيح ، والقلوب أوعية ، خيرها أوعاها .

47 ـ البياض :

المرآة ذات اللون الأسود تعكس الأشياء وكأ نّها سوداء ، وإذا كانت بيضاء فكذلك الأمر ، والمؤمن لو اسودَّ قلبه بالذنوب والآثام ، فإنّه يرى الأشياء كلّها سوداء مظلمة ، فيسيء الظن بأخيه المؤمن ، والقرآن الكريم يقول :

(اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إثْمٌ) ([10]) .

48 ـ اللقاء الحسن :

إذا فقدتَ المرآة التي تعتَزُّ بها فإنّك تتألّم وتتأثّر ، فكن لأخيك المؤمن متأثراً وحزيناً بفقدانه وهجرانه .. فإنّ المؤمن مرآة المؤمن ، يفرح بلقائه ويحزن بفقده .

49 ـ فرحة الرؤية :

إذا وجدتَ المرآة فإنّك تفرح بها وتسرّ لا سيّما لو كانت ضائعة ، وأنت مرآة أخيك المؤمن عليك أن تفرح بلقائه ويزيدك شغفاً رؤية محيّاه الباسم ، فإنّ المؤمن بشره في وجهه ، وحزنه في قلبه .

50 ـ الإعانة :

المرآة معينة الإنسان فإنّ بإمكانه أن يستعين بها ليُشاهد من خِلالها الأشياء التي من حوله ، كذلك المؤمن يستعين في حلّ قضاياه ومشاكله الفردية والاجتماعية بإخوته من المؤمنين ، كما هو يعين الآخرين ، فيتعاونون على البرّ والتقوى والإيمان الصادق كما أمرهم ربّهم بذلك في قوله تعالى :

(وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى) ([11]) .

51 ـ التذكير :

المؤمن يذكّر أخاه المؤمن ربّه برؤيته ويذكّره بصفات الله وأسمائه ، كما أنّ المرآة يُستدلّ بها على صفات الله سبحانه وتعالى ، كما جاء ذلك في كتب الاحتجاج في قصّة الإمام الرضا (عليه السلام) مع عمران عندما كان يسأله عن الله وكيفية صفاته فقال عمران :

يا سيدي فإنّ الذي كان عندي أنّ الكائن قد تغيّر في فعله عن حاله بخلقه الخلق ، قال (عليه السلام) : أحلتَ يا عمران في قولك : إنّ الكائن يتغيّر في وجه من الوجوه حتّى يصيب الذات منه ما يغيّره ، يا عمران هل تجد النار يغيّرها تغيّر نفسها ؟ أو هل تجد الحرارة تحرق نفسها ؟ أو هل رأيت بصيراً قطّ رأى بصره ؟ قال عمران : لم أرَ هذا ، ألا تخبرني يا سيدي أ هو في الخلق أم الخلق فيه ؟ قال الرضا (عليه السلام) : جلّ يا عمران عن ذلك ، ليس هو في الخلق ولا الخلق فيه ، تعالى عن ذلك ، وسأعلمك ما تعرفه به ، ولا قوّة إلاّ بالله ، أخبرني عن المرآة أنت فيها أم هي فيك ؟ فإن كان ليس واحد منكما في صاحبه ، فبأيّ شيء استدللت بها على نفسك ؟ قال عمران : بضوء بيني وبينها ، قال الرضا (عليه السلام) : فأرِناه ، فلم يحر جواباً ، قال (عليه السلام) : فلا أرى النور إلاّ وقد دلّك ، ودلّ المرآة على أنفسكما من غير أن يكون في واحد منكما ، ولهذا أمثال كثيرة غير هذا ، لا يجد الجاهل فيها مقالا ولله المثل الأعلى([12]) .

يقول العلاّمة المجلسي في بيان ذلك : قوله (عليه السلام) : (هل تجد النار يغيّر ها نفسها ؟) حاصله أنّ الشيء لا يؤثّر

في نفسه بتغيير وإفناء وتأثير ، بل إنّما يتأثّر من غيره ، فالنار لا تتغيّر إلاّ بتأثير غيرها فيها ، والحرارة لا تحرق نفسها ، والبصر لا ينطبع من نفسه ، بل من صورة غيره ، فالله سبحانه لا يمكن أن يتأثّر فليس من ذلك ، لأنّ أحد العضوين مؤثّر والآخر متأثّر أو يقال : الإنسان أثّر في نفسه بتوسّط غيره وهو عضو منه ، والله سبحانه لا يتأتّى فيه ذلك ، لوحدته الحقيقيّة وبساطته المطلقة ، فلا يعقل تغيّره بفعل نفسه بوجه ، ثمّ لمّا توهّم عمران أنّ الخلق والتأثير لا يكون إلاّ بكون المؤثّر في الأثر ، أو الأثر في المؤثّر ، أجاب بذكر بعض الشرائط العلل الناقصة على التنظير ، فمثّل بالمرآة حيث يشترط انطباع صورة البصر في المرآة وانطباع صورة المرآة في البصر ، بوجود ضوء قائم بالهواء المتوسّط بينهما ، فالضوء علّة ناقصة لتأثّر البصر والمرآة مع عدم حصوله في شيء منهما ، وعدم حصول شيء منهما فيه ، فلِمَ لا يجوز تأثير الصانع في العالم ، مع عدم حصول العالم فيه ، ولا حصوله في العالم ؟([13])

52 - الإضاءة :

المرآة مضيئة تنير عند انطباع شعاع النور فيها كذلك المؤمن سراجاً منيراً مضيئاً ، لما ينطبع النور الإلهي في قلبه ، فإنّ العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء كما ورد في الخبر الشريف ، وآمنة بنت وهب لمّا حملت نور النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) كان يرى النور في وجهها ، كما جاء في الخبر : (وكانت آمنة بعد ذلك يُرى النور في وجهها كأ نّه المرآة المضيئة)([14]) .

53 - عداء الجهّال :

أكثر الناس يجهلون حقيقة المرآة وكيفية تركيبها وصنعها ، إلاّ من كان من أهل الصنعة والخبرة ، وكذلك المؤمن فإنّ أغلب الناس يجهلونهم حتّى يعادونهم فإنّ الناس أعداء ما جهلوا ، إلاّ المؤمن فإنّه يعرف أخاه المؤمن ، ويقيّم إيمانه ، فإنّ المؤمن مرآة المؤمن .

54 - ذكر الجميع :

من خصائص المرآة أ نّها تذكر العيوب جميعاً كما تذكر المحاسن كلّها ، فلا تغفل عن عيب وحسن ، وكذلك المؤمن لأخيه المؤمن .

55 - الاعتماد بالنفس :

إنّ المرآة تعتمد على ما تقول ، ولم تتزلزل في بيان الحقائق من المحاسن والمعايب ، وكذلك المؤمن يتوكّل على الله ويعتمد على نفسه في بيان ما يلزم بيانه بالنسبة إلى أخيه المؤمن ، فإنّه مرآته كما ورد .

56 - اليقين :

إنّ المرآة على يقين تامّ فيما تحكى من المعايب والمحاسن فلا تروي بشكّ وريب وظنّ ، بل بكلّ علم وقطع ويقين ، وكذلك المؤمن .

57 - الأنس :

يأنس الناس بالمرآة في حضرهم وسفرهم ، كما هي تأنس بالآخرين ، فتحكي الأنس والمؤانسة ، وكذلك المؤمن مع المؤمنين .

58 - البيان الواضح :

فإنّ المرآة لا تضرب ناظرها من الخلف بخنجر ، بل حكايتها وجهاً لوجه ، وليس لها في مقام الحكاية إلاّ الإمام ، فكذلك المؤمن مع أخيه المؤمن .

59 - الوفاء بالعهد :

إنّ المرآة تفي بعهدها في إظهار الحقائق الإيجابيّة والسلبيّة على حدّ سواء ، وكذلك المؤمن للمؤمن .

60 - عدم مطالبة الأُجرة :

فإنّ المرآة في أداء وظيفتها الخاصّة من البيان والتبيان والتربية والتعليم لا تطالب الأُجرة ، وكذلك المؤمن مع أخيه المؤمن في أداء الوظائف الواجبة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يطالب بالأُجرة ، فإنّ أجره على الله سبحانه ، فلا يطالب بحطام الدنيا .

61 - ترك الحسد :

فإنّ المرآة مع مرآة أُخرى في بيان الحقائق لا تحسدها فلا حسد بينهما ، بل كلّ المرايا تعمل بهدف واحد ، وكذلك المؤمن مع غيره من المؤمنين ، فإنّ هدفهم هو الله
الواحد الأحد ، فلا يحسد بعضهم بعضاً .

62 - الجهاد :

إنّ المرآة تبذل الجهد والنفس والنفيس في بيان الواقع والحقيقة ، فهي دائماً في جهاد ، وكذلك المؤمن لا تراه إلاّ مجاهداً في سبيل الله ويبذل النفس والنفيس لأخيه المؤمن فإنّه مرآته ، فيسعى مشكوراً من أجل إصلاحه وتطويره برفع المساوئ وزيادة الحسنات .

63 - الاحتياج :

كلّ واحد من أجل رفع الشين وزيادة الزين يحتاج إلى المرآة ، وكذلك المؤمن بحاجة ماسّة إلى أخيه المؤمن في الصلح والإصلاح والفلاح .

64 - الشكر :

كلّ واحد يشكر المرآة في بيانها الحقائق ، ولا يتألّم منها ، بل يعتزّ بها ويعلّقها على الحائط ، ويشاهدها كلّ يوم ويتعاهدها بالنظافة واللطافة ، وكذلك المؤمن يتجلّى فيه الشكر ، وإنّه من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق ، فالمؤمن يتعاهد المؤمن ويشكره على ما يجود عليه من الفضائل والمكارم ، ومنها بيان المحاسن والمعايب .

65 - النورانيّة :

المرآة إنّما تعكس الأشياء بعد أن ينعكس فيها النور فلا يرى الشيء في الظلام ، وكذلك المؤمن إنّما يكون مرآة لأخيه المؤمن لو كان نورانياً بنور الله سبحانه وبنور رسوله وولاية أهل البيت (عليهم السلام) ، فالمؤمن المرآتي يكون نورانياً .

66 - الحُسن :

إنّ المرآة في ماهيّتها لم تتّصف بالسوء والشين ، بل في جوهرها وباطنها حسنة وجميلة ، وكذلك المؤمن حسن الباطن .

67 - التساوي بين الرجال والنساء :

إنّ المرآة لا تفرّق بين الرجال والنساء والكبار والصغار في بيان المحاسن والمعايب ، كذلك المؤمن بالنسبة إلى المؤمنين والمؤمنات ، فإنّه يساوي بينهما في مقام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند اجتماع شرائطهما .

68 - التكتّم :

إنّ المرآة تظهر العيوب الظاهرة وتحكي ذلك لناظرها دون البواطن ، فإنّها تكتم ذلك فيما كان مستوراً فلا تفضحه ، فكذلك المؤمن لأخيه المؤمن .

69 - النقصان :

لو كان في المرآة نقص فإنّه لا يمنع ذلك من أن تقول الحقيقة ، وتحكي ما ينطبع فيها من المحاسن والمساوئ ، كذلك المؤمن لأخيه المؤمن ، فإنّ نقصه لا يمنعه من أن يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر .

70 - ظهور الحقّ :

لولا المرآة لما ظهرت العيوب والمحاسن للآخرين ، وكذلك المؤمن فلولاه لما عرف الإيمان ولا المؤمن .

وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعليّ (عليه السلام) : لولاك لما عرف المؤمنون ، فالحقّ يظهر بالمؤمن الإنسان الكامل .

71 - الصمود :

لا تبالي المرآة في قولها الحقّ والحقيقة فهي صامدة ، وكذلك المؤمن مع المؤمنين يمتاز بصموده ونضاله الدؤوب .

72 ـ الثبات :

تمتاز المرآة بأ نّها ثابتة في البيان والتبيان ، فتقول ما تراه الحقّ بكلّ ثبات ومن دون شكّ وترديد ، وكذلك المؤمن لأخيه .

73 ـ العمل المتواصل :

إنّ المرآة لا تتعب في بيان الحقائق وإنّما تحكي ذلك دائماً بلا كسل ولا تضجّر ولا تملّل ، وكذلك المؤمن لإخوته .

74 ـ بلا مكان :

إنّ المرآة في حكايتها تقول الحقّ في كلّ مكان ، فهي فوق المكان ، وكذلك المؤمن لأخيه المؤمن ، فإنّه لا ينحضر بمكان خاصّ في بيان الحقيقة والواقع .

75 ـ بلا زمان :

المرآة تتجاوز الزمان في الحكاية والبيان ، فلا تتقيّد بزمان دون زمان ، وكذلك المؤمن ، فهو يتعدّى الزمان في قوله الحقّ .

76 ـ غير طامع :

المرآة في أداء وظيفتها ومسؤولياتها لا تطمع بناظرها ، كذلك المؤمن مع أخيه المؤمن .

77 ـ الشجاعة :

لا تخاف المرآة في بيان الحقائق ، بل بكلّ شجاعة وبسالة تقول قولتها ، ولا تبالي حتّى لو كسروها وحطّموها ، كذلك المؤمن .

78 ـ الإحساس المُرهَف :

إنّ المرآة ربما تتثلم أو تنكسر بحجر صغير ، فتحمل الحسّاسية المرهفة ، وكذلك المؤمن ، فلا نجرح عواطف الآخرين بأفعالنا وكلامنا ، فكلّ واحد منّا مرآة أخيه المؤمن .

79 ـ الشفّافيّة :

تمتاز المرآة بشفّافيّة ، والمشاهد إنّما يرى صفاءها وشفّافيتها ، وإنّها لتخفي سوادها أو احمرارها المنطبع خلفها ، وكذلك المؤمن شفّاف في سلوكه ومعاشرته مع إخوته المؤمنين .

80 - السخاء :

إنّ المرآة تجود على مشاهديها فهي سخيّة في عطائها وفي بيان الحقائق ، وكذلك المؤمن سخيّ وجواد في طبعه وفي أمواله ووجاهته ، وإنّ الله سبحانه يحبّ السخاء ويحبّ الأسخياء ، فالمؤمن ينتفع الناس بوجوده وحياته .

81 - الاطمئنان :

المرآة إنّما تحكي وتروي عن اطمئنان ، كما أنّ الناس يطمئنّون بروايتها وبيانها ، ولم يشكّ أحد في مقولتها ، فهناك اطمئنان متقابل بين المرآة وناظرها ، وكذلك المؤمنون ، فإنّ قلوبهم اطمأنّت بذكر الله ، وكان كلّ واحد للآخر مرآة ، فساد بينهم الطمأنينة والأمن .

82 - الجمع :

ربما من مجموعة مرايا يرى الإنسان نفسه كاملا ، فعند جمع المرايا الصغار تتمّ المشاهدة الكاملة ، كذلك المؤمن فربما يرى نفسه ويقف على محاسنه ومعايبه من خلال مجموع أفكار جماعة من المؤمنين فحينئذ يصلح نفسه ببركة ذلك الجمع .

83 - العمل الجبّار :

ربما من مجموع مرايا يصدر عمل لا يصدر من مرآة واحدة ، كما في صنع المكرسكوب والتلسكوب ، كذلك المؤمن مع إخوانه يصدر منهم عمل جبّار وعظيم لا يتحقّق بواحد منهم ، وإنّ يد الله مع الجماعة ، فالمؤمن مرآة المؤمن .

84 - الزهد :

إنّ المرآة بظاهرها تحكي السذاجة والزهد وعدم التكلّف في بيان الحقائق ، وكذلك المؤمن مع الآخرين وفي حياته الفردية والاجتماعية يعيش الزهد وعدم التكلّف ، ويدري أنّ شرّ الإخوان من تكلّف له .

85 - كتمان السرّ :

إنّ المرآة حافظة السرّ ولا تذيع أسرار الناظرين بين الناس ، فما أن يتركها الناظر الذي كانت تحكي له الواقع من المعايب والمحاسن إلاّ وتكتم سرّه ، فعندما يأتي الناظر الثاني لا يفهم منها ما كان للأوّل ، وكذلك المؤمن مرآة المؤمنين فيكتم أسرارهم ، ولا يبيحها إلاّ إلى صاحبها .

86 - الراحة :

كلّ شخص يحسّ بالارتياح عندما ينظر إلى المرآة ليرى نفسه ، حتّى لو حكت المرآة عيوبه ، فإنّه لا يزال يحسّ بالراحة والارتياح النفسي ، فالمرآة مظهر الراحة ، كذلك المؤمن في معاشرته وحديثه وسلوكه يرتاح الناس إليه ، فلا يكون عليهم ثقيلا فإنّه ذو دعابة وبشاشة وابتسام ، فهو مرآة المؤمنين .

87 ـ عدم اليأس :

من الواضح أنّ المرآة لا تيأس في حكايتها وبيانها الواقعيات ، فهي تحكي العيب لمن ينظر فيها ولو تكرّر ذلك بالمئات ، فما دام الناظر لم يزل عيبه ، فهي تروي له ذلك وتذكّره كلّما التقى بها حتّى يزيله ، كذلك المؤمن لأخيه المؤمن ، فإنّه لا ييأس في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، في بيان المحاسن والعيوب ، بل دائماً يذكّره حتّى يصلح نفسه ، فإنّه يريد أن يعيش معه ويكون معه حتّى يوم القيامة وفي الجنّة ، فإنّ الأخلاّء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلاّ المتّقون ، فإنّ الذي يبني من اليوم الأوّل على التقوى أحقّ أن يقام ويخلّد إلى يوم القيامة ، فالصداقة الإيمانية التي تبتنى على التقوى إنّما تكون إلى يوم القيامة ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، فحينئذ كيف يرضى المؤمن أن يكون في أخيه المؤمن عيباً يحرمه من الجنّة ، أو لا يزيد في حسناته حتّى يكون من جوار الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) ، فالمؤمن مرآة المؤمن .

88 ـ الاستقلال :

إنّ المرآة لا تتعلّق بزمان ومكان كما ذكرنا ، فإنّها في بيانها مستقلّة لا تعتمد على الآخرين ، فهدفها إيصال الحقّ ، وكذلك المؤمن مع أخيه المؤمن .

89 ـ النور :

المرآة تعكس الأنوار ، وكذلك المؤمن ، فإنّ إيمانه منبع الأنوار فهو يعكس الأنوار الإلهيّة والنبويّة والولويّة ـ أي المنسوبة إلى أولياء الله وهم الأئمة الأطهار (عليهم السلام) ومن يحذو حذوهم من ورثة الأنبياء (عليهم السلام) ـ .

90 ـ الأدب :

إنّ المرآة لتحمل في جوهرها وقولها الأدب الرفيع ، فلا تسيء في بيانها المعايب والمحاسن ، بل بكلّ لطف وأدب تروي الحقائق ، كذلك المؤمن ، فإنّه آية في الأدب الإسلامي الناصع .

91 ـ نكران الذات :

المرآة لا تنظر إلى نفسها ، فهي في واقعها تنكر ذاتها من أجل الآخرين ، كذلك المؤمن يمتاز بنكران ذاته ، فإنّ هدفه إصلاح المجتمع ، لا إظهار نفسه ووجوده .

92 ـ الطهارة :

إنّ المرآة في الأعراف تعدّ مظهراً للطهارة والقداسة ، فمثلا عند الفرس في عيد نوروز عيدهم الوطني ، يضعون المرآة في مائدة العيد لتحكي لهم الطهارة ، كذلك المؤمن فهو الطاهر المطهّر .

93 ـ الشرف :

المرآة شريفة في حياتها المرآتية ، فمن شرافتها أ نّها لا تبيح السرّ لغير ناظرها ، وكذلك المؤمن شريف في حياته مع

الآخرين ، ولا يرتكب ما يخلّ بشرفه وعفّته .

94 ـ الكفاءة :

من خصائص المرآة أ نّها تمتاز بالكفاءة الذاتية في بيان الحقائق ، وهكذا تعلّم الناس بحسن الكفاءة والاستقلال الذاتي ، وكذلك المؤمن لأخيه المؤمن .

95 ـ القدوة :

كلّ واحد في حياته بحاجة إلى قدوة وأُسوة ، لما في الحياة من الهيبة ، وليطابق الإنسان سلوكه وأعماله لأُنموذج يقتدى به ويسار على هداه ، والقدوة الأُولى هو الله سبحانه ، كما ورد في الخبر الصادقي (عليه السلام) : « تخلّقوا بأخلاق الله » ، فسبحانه قدوة الأنبياء ثمّ الأوصياء ثمّ العلماء الصلحاء الأمثل فالأمثل ، فالناس يحتاجون إلى قدوة صالحة ، لا سيّما المؤمن ، والقدوة بمنزلة المرآة يرى الإنسان فيها نفسه ليصلحها برفع نقاط الضعف منه وتقوية نقاط القوّة فيه ، فالمؤمن قدوة للآخرين (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إمَاماً) ([15]) ، فالمؤمن قدوة أخيه المؤمن .

96 ـ العلم :

إنّ المرآة لتخبر عن المحاسن والمعايب عن علم وتحكي الكلّيات منهما ، فهي بمنزلة العالمة بما تحكي وتقول ، فكذلك المؤمن إنّما يكلّم الناس عن علم ويخبر عن الكلّيات والعمومات .

97 ـ المعرفة :

المرآة تروي الجزئيات ودقائق الحسن والعيب ، فعن معرفة تامّة تروي ما تعلم ، فهي بمنزلة العارفة بما تقول ، فكذلك المؤمن فإنّه عارف بالله وبمعرفته عن معرفة يذكر ما يعرفه لأخيه المؤمن . والفرق بين العلم والمعرفة أنّ الأوّل في الكلّيات والثاني في الجزئيات .

98 ـ الله والإنسان :

ربما يكون المراد من المؤمن الأوّل في قوله (صلى الله عليه وآله) : (المؤمن مرآة المؤمن) هو الإنسان والمؤمن الثاني هو الله سبحانه وتعالى([16]) فإنّ من أسمائه الحسنى كما في كتابه الكريم (المؤمن) .

فالإنسان الذي هو أشرف المخلوقات ، لو آمن بالله ورسوله واليوم الآخر ، وكان مؤمناً حقّاً ، فهو مرآة الله سبحانه وتعالى ، تظهر وتتجلّى فيه أسماؤه الحسنى وصفاته العُليا ، وإنّما يتجلّى أوّلا في الإنسان الكامل الذي اشتقّ نوره من نور الله سبحانه ، وهو النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) كما جاء في حديث المعراج : (يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك) فهو المؤمن الكامل حقّاً ، ثمّ يتلو في المقام وصيّه ، ثمّ الأمثل فالأمثل من عباد الله الصالحين ، وما به الاشتراك بين الأنبياء والأوصياء هو الحقيقة المحمّدية ، وهي الولاية الإلهية العظمى . وإنّ قلب المؤمن حرم الله وعرش الرحمن ، وجاء في الخبر الشريف : يتقرّب إليّ عبدي المؤمن بالنوافل حتّى أُحبّه فإذا أحببته ، أكون سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها . وبإمكان الإنسان بلطف من الله أن يصل إلى كماله المطلق ومطلق الكمال ، إلى قاب قوسين من القرب المعنوي الروحاني أو أدنى :

(وَإِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيه) [17] .

وإلى الله المنتهى ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، فيكون الإنسان المؤمن في قوسه النزولي والصعودي مرآة ربِّه العليّ جلّ جلاله ، واجب الوجود لذاته ، المستجمع لجميع الصفات الكمالية والجلالية .

99 ـ النبيّ والوصيّ (عليهما السلام) :

ويمكن أن يُراد من المؤمن الأوّل هو أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) والمؤمن الثاني هو رسول الله (صلى الله عليه وآله) فعليّ مرآة أخيه محمّد (عليهما السلام) ، ومن أراد أن يُشاهد الرسول في أخلاقه وعلمه وكمالاته ويدخل مدينة حكمته ، فعليه أن يأتي البيوت من أبوابها ، وعليّ باب مدينة علم رسول الله ، فهو مرآة حق وإيمان لأخيه محمّد (صلى الله عليه وآله) وهو القائل : (علّمني رسول الله ألف باب من العلم ينفتح لي من كلّ باب ألف باب) ، فصراط عليّ حقّ نمسكه ، ومن تمسّك بولاية علي (عليه السلام) فقد تمسّك بحبل الله جلّ جلاله ، وأُولئك هم الفائزون المفلحون .

* * *

مرآتية المؤمن في الروايات الشريفة

بحار الأنوار[18] بسنده عن المعلّى بن خنيس قال :

قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : ما حقّ المؤمن على المؤمن ؟

قال : سبع حقوق واجبات ما فيها حق إلاّ وهو عليه واجب ، إن خالفه خرج من ولاية الله وترك طاعته ، ولم يكن لله عزّ وجلّ فيه نصيب .

قال : قلت : جُعلت فداك حدّثني ما هنّ ؟

قال : يا معلّى إنّي شفيق عليك ، أخشى أن تضيّع ولا تحفظ وتعلم ولا تعمل .

قلت : لا قوّة إلاّ بالله .

قال : أيسر حقّ منها أن تحبّ له ما تحبّ لنفسك ، وتكره له ما تكره لنفسك .

والحقّ الثاني : أن تمشي في حاجته وتبتغي رضاه ولا تخالف قوله .

والحقّ الثالث : أن تصله بنفسك ومالك ويدك ورجلك ولسانك .

والحقّ الرابع : أن تكون عينه ودليله ومرآته وقميصه .

والحقّ الخامس : أن لا تشبع ويجوع ، ولا تلبس ويعرى ، ولا تروى ويضمأ .

والحقّ السادس : أن تكون لك امرأة وخادم ، وليس لأخيك امرأة وخادم أن تبعث خادمك فيغسل ثيابه ويصنع طعامه ويمهّد فرشه ، فإنّ ذلك كلّه إنّما جعل بينك وبينه .

والحقّ السابع : أن تبرَّ قسمه ، وتجيب دعوته ، وتشهد جنازته ، وتعوده في مرضه ، وتشخص بدنك في قضاء حاجته ، ولا تحوجه إلى أن يسألك ، ولكن تبادر إلى قضاء حاجته ، فإذا فعلت ذلك به ، وصلت ولايتك بولايته ، وولايته بولاية الله عزّ وجلّ .

وفي الصفحة 238 : ما حقّ المسلم على المسلم .. ثمّ ينقل الرواية نفسها .

البحار([19]) بسنده عن الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال :

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : المؤمن مرآة لأخيه المؤمن ينصحه إذا غاب عنه ، ويميط عنه ما يكره إذا شهد ، ويوسّع له في المجلس .

البحار([20]) : قال الإمام الصادق (عليه السلام) :

لكلّ شيء شيء يستريح إليه ، وإنّ المؤمن يستريح إلى أخيه المؤمن ، كما يستريح الطير إلى شكله ، أوَ ما رأيت ذلك ؟

وقال (عليه السلام) : المؤمن أخو المؤمن هو عينه ومرآته ودليله ، لا يخونه ، ولا يخدعه ، ولا يظلمه ، ولا يكذبه ، ولا يغتابه .

البحار([21]) بسنده قال أبو عبد الله (عليه السلام) :

المسلم أخو المسلم ، وهو عينه ومرآته ودليله ، ولا يخونه ولا يظلمه ولا يخدعه ولا يكذبه ولا يغتابه .

تبيين : (مرآته) أي : يبيّن محاسنه ليركبها ، ومساويه ليجتنبها ، كما هو شأن المرآة ، أو ينظر إلى ما فيه من المعايب فيتركها ، فإنّ الإنسان في غفلة من عيوب نفسه ، وكذا المحاسن .

روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (المؤمن مرآة المؤمن)([22]) .

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : المؤمن مرآة لأخيه المؤمن ينصحه إذا غاب عنه ، ويميط عنه ما يكره إذا شهد ، ويوسّع له في المجلس([23]) .

عن أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) : يا كميل المؤمن مرآة المؤمن ، لأ نّه يتأمّله ، فيسدُّ فاقته ، ويجمل حالته([24]) .

الخاتمة

يذكر ذلك العلاّمة المجلسي في بحاره([25]) بعد بيان تحقيقي في حقيقة القوّة الباصرة وكيفية الإبصار والاختلاف فيها ، فقال :

ومنها : رؤية المرئيات في المرايا والأجسام الصقيلة ، واختلف في سببه ، وتفرّق آراؤهم إلى مذاهب أربعة :

الأوّل : مذهب أصحاب الشعاع حيث ذهبوا إلى أ نّه بانعكاس الخطوط الشعاعية ، وتفصيله إنّا نعلم تجربة أنّ الشعاع ينعكس من الجسم الصقيل ، كما ينعكس شعاع الشمس من الماء إلى الجدار ، ومن المرآة إلى مقابلها ، فإذا وقع شعاع البصر على المرآة مثلا ينعكس منها إلى جسم آخر ، وضعه من المرآة من البصر على وجه تتساوى زاويتا الشعاع والانعكاس ، فإذا قابلت المرآة وجه المبصر وكان سهم المخروط الشعاعي عموداً على سطح المرآة ، وجب انعكاس ذلك الخطّ العمود من سمته بعينه إلى مركز الجليديّة ، إذ لو انعكس إلى غيره لزم تساوي زاوية قائمة مع زاوية حادّة ، وانعكست الخطوط القريبة منه إلى باقي أجزاء الوجه فيرى الوجه . وإذا كانت المرآة غير مقابلة للبصر على الوجه المذكور ، لم ينعكس الشعاع إليه ، بل إلى جسم آخر ، من شأنه أن تتساوى به الزاويتان المذكورتان . فالمرئي في المرآة إنّما هو الأمر الخارجي ، لكن لمّا رؤي بالشعاع الذي رؤي به المرآة ، يظن أ نّه في المرآة وليس موجوداً في المرآة ، وإذا كان الوجه قريباً من المرآة والخطوط المنعكسة قصيرة ، يظنّ أن صورة المرئي قريبة من سطح المرآة ، وإذا كان الوجه بعيداً عنها والخطوط المنعكسة طويلة يظنّ الصورة غائرة فيها . وأورد عليه من الإيراد المذكور في محلّها .

الثاني : مذهب أصحاب الانطباع ، وتوضيحه : أ نّه كما أنّ القوّة الباصرة بحيث إذا قابلت جسماً ملوّناً مضيئاً ارتسمت صورته فيها ، فكذلك هي بحيث إذا قابلت جسماً صقيلا ارتسمت فيه صورة المرآة ، وشرط الانعكاس عندهم أيضاً ما مرّ من كون الجسم المقابل من المرآة مثل مقابلة المرآة للمبصر ، بحيث تتساوى زاويتا الشعاع والانعكاس من الخطوط الشعاعيّة الموهومة المفروضة المستقيمة .

الثالث : مذهب سخيف ضعيف ، وهو أنّ الصورة ينطبع في المرآة .

الرابع : مذهب أفلاطون ومن سبقه وتبعه من الإشراقيين ، حيث أثبتوا عالماً آخر سوى هذا العالم الجسماني الذي هو المحدّد للجهات ، مع ما فيه من الأجرام الفلكية والأجسام العنصرية ، وهو عالم متوسّط بينه وبين عالم المجرّدات العقلية الصرفة المنزّهة عن المقدار والحيّز والجهة والشكل . فإنّ أشخاص هذا العالم صور مثالية ، وأشباح برزخية ، مجرّدة عن الطبائع والموادّ ، نورانيّة ، يسمّى ذلك العالم عالم المثال ، وقالوا : إنّ الصور المرئية في المرايا وغيرها من الأجسام الصقيلة والصور المتخيّلة وأمثالها صور موجودة قائمة بنفسها ، إذ لو كانت الصور في المرآة لما اختلف رؤية الشيء باختلاف مواضع نظرنا إليها ، ولو كانت في الهواء لم يكن أن ترى ، لأنّ الهواء شفّاف لم يكن أن يرى ، وكذا ما حلّ فيه ، وليست هي صورتك بعينها بأن ينعكس الشعاع من المرآة إليك ، لبطلان القول بالشعاع لوجوه مذكورة في كتب القوم ، ولا في القوّة الباصرة أو غيرها من القوى البدنية لوجوه ذكروها ، فهي صور جسمانية موجودة في عالم آخر ، متوسّط بين عالمي الحسّ والعقل يسمّى بعالم المثال (المثل الأفلاطونية) ، وهي قائمة بذاتها معلّقة لا في محلّ ولا في مكان ، لها مظاهر كالمرآة في الصور المرئية المرآتية والخيال في الصور الخيالية .

وجاء في (المناقب) لابن شهرآشوب : ممّا أجاب الرضا (عليه السلام) بحضرة المأمون لضباع بن نصر الهندي وعمران الصابيّ عن مسائلهما : قال عمران : العين نور مركّبة أم الروح تبصر الأشياء من منظرها ؟ قال (عليه السلام) : العين شحمة ، وهو البياض والسواد ، والنظر للروح ، دليله أ نّك تنظر فيه فترى صورتك في وسطه ، والإنسان لا يرى صورته إلاّ في ماء أو مرآة وما أشبه ذلك ...([26])

قال العلاّمة المجلسي في بيان ذلك : قوله (دليله أ نّك تنظر فيه) كأنّ الغرض التنبيه على أنّ هذا العضو بنفسه ليس شاعراً لشيء ، لأ نّه مثل سائر الأجسام الصقيلة التي يرى فيها الوجه كالماء والمرآة ، فكما أ نّها ليست مدركة لما ينطبع فيها فكذا العين وغيرها من المشاعر ، أو دفع لتوهّم كون الانطباع دليلا على كونها شاعرة ، فيكون سنداً للمنع .

وجاء في (تحف العقول) : سأل يحيى بن أكثم عن قول علي (عليه السلام) : (إنّ الخنثى يورث من المبال) وقال : فمن ينظر إذا بال إليه ؟ مع أ نّه عسى أن تكون امرأة وقد نظر إليها الرجال ؟ أو عسى أن يكون رجلا وقد نظرت إليه النساء ؟ وهذا ممّا لا يحلّ . فأجاب أبو الحسن الثالث (عليه السلام) : إنّ قول علي (عليه السلام) : حقٌّ ، وينظر قوم عدول يأخذ كلّ واحد منهم مرآة ، وتقوم الخنثى خلفهم عريانة ، فينظرون في المرايا فيرون الشبح ، فيحكمون عليه .

قال العلاّمة المجلسي : بيان : ظاهره أنّ الرؤية بالانطباع لا بخروج الشعاع ، لقوله (عليه السلام) : (فيرون الشبح) ولأ نّه إذا كان بخروج الشعاع فلا ينفع النظر في المرآة ، لأنّ المرئي حينئذ هو الفرج أيضاً . ويمكن الجواب بوجهين :

الأوّل : إنّ مبنى الأحكام الشرعية الحقائق العرفية ، لا الدقائق الحكمية ، ومن رأى امرأة في الماء لا يُقال لغةً ولا عرفاً : إنّه رآها ، وإنّما يقال : رأى صورتها وشبحها ، والنصوص الدالّة على تحريم النظر إلى العورة إنّما تدلّ على تحريم الرؤية المتعارفة ، وشمولها لهذا النوع من الرؤية غير معلوم . فيمكن أن يكون كلامه (عليه السلام) مبنيّاً على ذلك لا على كون الرؤية بالانطباع ، ويكون قوله (فيرون الشبح) مبنيّاً على ما يحكم به أهل العرف ، وذكره لبيان أنّ مثل تلك الرؤية لا تسمّى رؤية حقيقية ، لا عرفاً ولا لغةً .

والثاني : أ نّه يحتمل أن يكون الحكم مبنيّاً على الضرورة ، ويجوز في حال الضرورة ما لا يجوز في غيرها ـ كلّما حرّمه الله أحلّه الاضطرار ـ فيجوز النظر إلى العورة كنظر الطبيب والقابلة وأمثالهما ، ولمّا كان هذا النوع من الرؤية أخفّ شناعة وأقلّ مفسدة ، اختاره (عليه السلام) لدفع الضرورة هناك بها ، فلا يدلّ على الجواز عند فقد الضرورة ، وعلى الانطباع . والأوّل أظهر . ومع ذلك لا يمكن دفع كون ظاهر الانطباع .

وسنتكلّم في أصل الحكم في موضعه إن شاء الله تعالى([27]) . انتهى كلامه رفع الله مقامه .

أقول :

هذا غيض من فيض في حقيقة المرآة والحديث النبوي الشريف : (المؤمن مرآة المؤمن) وما تصوّرناه وتبادر إلى الذهن القاصر من المعاني التي بلغت (99) معنىً ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ، وما أُوتينا من العلم إلاّ قليلا ، وفوق كلّ ذي علم عليم ، ولا يلقّاها إلاّ ذو حظٍّ عظيم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

([1]) رسالة طبعت في مجلة (نور الإسلام) الصادرة في بيروت العدد 11 و 12 سنة 1409 بـ (35) معنى ، وفي مجلة (الكوثر) الصادرة في إيران العدد الثاني لسنة 1416 بـ (55) معنى ، وطبعت في الموسوعة مع تنقيح وإضافات بـ (99) معنى .

([2]) بحار الأنوار 2 : 184 ، باب 26 .

([3]) بحار الأنوار 71 : 270 .

([4]) جاء في بحار الأنوار (70 : 333) في تفسير القلب وسواده بالذنوب وأنّ القلب يُران ، كما في قوله تعالى : (بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) ، فقال العلاّمة المجلسي (قدس سره) : والمراد بما كانوا يكسبون الأعمال الظاهرة القبيحة والأخلاق الباطنة الخبيثة فإنّ ذلك سبب لرين القلب وصداه وموجب لظلمته وعماه ، فلا يقدر أن ينظر إلى وجوه الخيرات ، ولا يستطيع أن يشاهد صور المعقولات ، كما أنّ المرآة إذا أُلقيت في مواضع النّدى ركبها الصّدا ، وأذهب صفاءها وأبطل جلاءها ، فلا يتفتش فيها صور المحسوسات . وبالجملة يشبه القلب في قسوته وغلظته وذهاب نوره ، بما يعلوه من الذنوب والهوس ، وما يكسوه من الغفلة والردى ، بالمرآة المنكدرة من الندى ، وكما أنّ هذه المرآة يمكن إزالة ظلمتها بالعمل المعلوم ، كذلك هذا القلب يمكن تصفيته من ظلمات الذنوب وكدورات الأخلاق بدوام الذكر والتوبة الخالصة والأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة ، حتّى ينظر إلى عالم الغيب بنور الإيمان ويشاهد مشاهدة العيان إلى أن يبلغ إلى أعلى درجات الإحسان ، فيعبد الله كأ نّه يراه ، ويرى الجنّة وما أعدّ الله فيها =
= لأوليائه ، ويرى النار وما أعدّ الله فيها لأعدائه . انتهى كلامه رفع الله مقامه .

البحار (71 : 270) : قال العلاّمة الراوندي في ضوء الشهاب : المرآة الآلة التي ترى فيها صورة الأشياء وهي مفعلة من الرؤية ، والمعنى أنّ المؤمن يحكي لأخيه المؤمن جميع ما يراه فيه ، فإن كان حسناً زيّنه له ليزداد منه ، وإن كان قبيحاً نبّهه عليه لينتهي عنه . انتهى .

([5]) بحار الأنوار 68 : 325 .

([6]) بحار الأنوار (73 : 239) : ذكر صاحب عوارف المعارف حديثاً أسنده أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) كان إذا سافر حمل معه خمسة أشياء : المرآة والمكحلة والمذري والسواك والمشط ، وفي رواية أُخرى والمقراظ . وقد ذكرت أحاديث كثيرة حول الصديق والصداقة في (معالم الصديق والصداقة) ، مطبوع في الموسوعة ـ المجلد 11 ، فراجع .

([7]) بحار الأنوار 10 : 91 .

([8]) بحار الأنوار 74 ، 65 . قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : يا عليّ إذا نظرت في مرآة فكبّر ثلاثاً وقُل : (اللّهم كما حسّنت خلقي فحسّن خُلقي) .

([9]) بحار الأنوار 1 : 169 و 182 .

([10]) الحجرات : 12 .

([11]) المائدة : 2 .

([12]) البحار 10 : 313 .

([13]) البحار 10 : 324 .

([14]) بحار الأنوار 15 : 104 .

([15]) الفرقان : 74 .

([16]) يقول العلاّمة المجلسي في بحاره (71 : 270) : قد ذهب بعض الصوفيّة إلى أنّ المؤمن الثاني هو الله تعالى ، أي المؤمن مظهر لصفاته الكمالية تعالى شأنه ، كما ينطبع في المرآة صورة الشخص والحديث يدلّ على أ نّه ليس بمراد من الخبر النبوي (صلى الله عليه وآله وسلم) . وقيل : المراد أنّ كلاّ من المؤمنين مظهر لصفات الآخر ، لأنّ في كلّ منهما صفات الآخر ، مثل الإيمان وأركانه ولواحقه وآثاره والأخلاق والآداب ولا يخفى بُعده .

([17]) الانشقاق : 6 .

([18]) بحار الأنوار 71 : 224 .

([19]) البحار 71 : 233 .

([20]) البحار 71 : 337 .

([21]) البحار 71 : 270 .

([22]) البحار 71 : 270 .

([23]) البحار 71 : 233 .

([24]) البحار 74 : 269 و 414 .

([25]) بحار الأنوار 58 : 265 .

([26]) البحار 58 : 205 .

([27]) البحار 58 : 255 .